

يا مرسل المراسيل

كيفك
آنت

كتبتنا وما كتبتنا

المجموعة القصصية

سيرة حب

أنا
لحبيبي
و تبي
إلي

بعدك

بالي

عبدالرحمن محمد

فهمون

سلملي عليه

زعلي
طول
آنا وياك

عبدالرحمن محمد عبدالجواد

المجموعة القصصية :

سهرة حب !

ستشعر بالكثير من الحب بين طياته ... كن حذر !

الكاتب :

عبد الرحمن محمد عبد الجواد .

الإهداء :

إلى الأولى بكل شيء وبقلبي أُمي، إلى شقيقة روعي .. شقيقتي الكبرى، إلى صديقي الصدوق والأقرب إلى روعي دوما قصي، إلى مدينتي الأولى يافا، والأمل بالشام وإلى فيروز .

أما قبل أكتب اليوم وأنا اتجرد من كل المشاعر لك ولن تكوني بطلّة إحدى هذه القصص، لن أتخيلك في أقصى لحظات الحب وأنا ابخها على هذه الأوراق، ولا سأكتب عن خصلات شعرك، ولا عن عسلية عينيك، ولا طريقة كلامك، ولا عن طلباتك الغربية، لن أكتب كم أحببتك وكم أكرهك بكل حب الآن، ولن أكتب عن اللقاء الأول اللعين بك، ولا القلبة الأولى التي بعثرت على خدي لون حمرتك لمدة طويلة، ولا كيف تلمسين تفاحة آدم ولا عروقي البارزة، ولن أخبر كيف تتلاعب كل المشاعر في قلبي عندما تلمسي لحيّتي بأطراف أصابعك، لن أتحدث عن أنوثتك الصاخبة والملفتة لقلبي، لن عن أتحدث لمعة الحب في عيني، أو لمستك لي التي تكون مختلفة عن أي لمسة أخرى عندما أكون كثير الشوق لك، لن أعبر كيف كنت أحملك داخل قلبي، لن أتحدث عن قصر قامتك، ولا عن حبك لطعام الجاهز، لن أتحدث كيف تنقلبين إلى قطة شرسة عندما تغضبين أو تنفعلين، لن أكتب كم تحبي فيروز وصوت فيروز وأغاني فيروز، لن أكتب عن غيرتك المجنونة، لن أكتب عن فراقك اللعين ولا عن روعي التي تنطفئ دونك، ولا عن أي شيء يخصك، ولن تكوني أبدا صاحبة الإهداء .

أما بعد أنا أحبك وكل الأشياء المحببة لك وحتى لو كنت أكرهها، أحب
أصغر تفاصيلك، واشتاق جدا لك، وأشعر بأنني طفل يتيم دونك يتيم
بهجران الحبيبة، وكل ما كتب أعلاه كان ذكرا لكل الأشياء التي أحب بك،
وبكل القصص هنا كنت أنت البطلة كما كنت تحلمين دوما أن تكوني بطلة
إحدى القصص أو الروايات، وأحلف لك بالجبار إنك كنت ترافقينني طيلة
هذه القصص وكأنك بجانبني هنا .

زعلي طول أنا وياك !

الثالثة صباحا ...صوت المطر يسكن كل الزوايا التي تخلو من الأصوات
ي صاحبه صوت الحطب الذي يحترق كروحي الآن وصوت البطلة في
مسلسل الغفران (عزة) الحلقة السابعة والعشرون :
عزة : لك فالحياة في شي اسمو تسامح في شي اسمو غفران ...
وفي هذه اللحظة أيضا لن أغفر لك .

بين أحلامي كلها كنت أنت الأهم ضحيت كثيرا وأعطيت أكثر في
علاقة كانت تخنقني حبا، حاولت أن أمسك في حبالها عن عنقي
حاولت جاهدا أن أتحرر منها وأن أعيش طبيعيا دونها وبعدها ولكنني
فشلت كانت علاقة مشوها شوهت داخلي وخارجي جزء كبير من
ذكرياتي حتى أصبح مرهقا وصعبا علي أن نعود، أن أحن أو أغفر
حتى !

كنت على أبواب التخرج حين تقابلنا يا أثير أول مرة، كنت مندفع إلى
الحياة إلى الحب ولك بشكل غريب، كانت صدفة لعينة، كان حب
لعين، كل شيء يخصك ملعون فلم يحل بكل مكان سكنتي به إلا
الخراب، خراب كبير لا يصلح ولا يعود إلى ما كان عليه من قبلك !
كانت آخر مادة لي قبل التخرج وكنت أنت في السنة الثالثة حينها لا
أفهم كيف لقانون الجامعة الغريب أن لا يوافق بين طلبة المواد كانت
مادة تجمع طلاب من الشرق من الغرب السنة الأولى ، الثانية من
الشمال وأنت وأنا، حتى نبدأ هذه القصة قصتنا أو قصتي فأنا أجزم
إنها لم تكن تعني لك شيء كما كانت مقدسة داخلي ... داخل زوايا
روحي .

أذكر المرة الأولى التي تحدثنا بها كنت أجلس بقاعة المحاضرة التي كانت على وشك أن تبدأ، ودخلت أنت وجلست بجانبني شعرت بالغرابة حينها رغم أن المقاعد كانت فارغة لكنك جلست بجانبني، بعد خمس دقائق بين الحيرة والصمت قلت لي حينها إنك تريدني أن تسألني عن بعض المواد لم تفهمها في قانون العقوبات، مر ذلك اليوم وأصبحت العادة أن نجلس في نفس المكان دوما دون ترتيب أو تخطيط أذكر مرة حين سألتك أن الأمر أصبح غير طبيعي في أننا نتصادف دوما وفي كل الأماكن ونجلس دوما في المحاضرة إلى جانب بعض دون تخطيط، قلت لي : إنها رسائل القدر !

حينها علمت إنني أمام شيء جديد شيء لا يقاوم إلا بدعاء فالدعاء هو الشيء الوحيد الذي يغير القدر لكنني لم أدعو، لم أفكر أن أدعو حتى كنت أريد لهذه القصة أن تبدأ ولكن إن أراد القدر وستكون القصة كلها محكومة إليه حتى يكتب القدر ذلك وكان .

كنت لا أفهم يا أثير كيف ينام العاشقين في الليلة الأولى ؟ كنت أشعر أن الامر غريب حقا ففي الليلة تلك ليلة العشق الأولى كنت أشعر بطاقة قوية تجعلني أنسى أن الإنسان ينام بالأصل، كنت أعجز على إيقاف كل الكواكب التي ولدت داخلي في تلك الليلة أن أطفئ بريق قلبي وكل النجوم التي بدأت تنير بشكل ساطع في سماء روحي، كانت تلك الكلمة عجيبة كانت تسد المكان وتفي بغرض كل أنواع الأدوية، كانت تشعرني بالسكينة السكينة التي تفشل كل الأشياء أن تخلقها داخلي، كانت كلمة معجونة بالسحر والحب بل كانت سحرا حقا فكيف لكلمة أن تنير كل هذا في ؟! كيف لها أن تحيي كل ما مات في ؟! كيف لكلمة أن تجعلني مولود جديد وكأنني لم أعش يوما

إلا بها؟! كيف لها كل هذا إن لم تكن سحرا؟! سحرا قوي معقود بشكل
سماوي لا يفك يوما أو كنت هكذا أظن .

أكثر ما كان غير صحي في علاقتنا يا أثير إننا لم نترك أي مكان إلا وقد
شاركناه في قصتنا أو بشكل أدق شوهناه، أصبحت فيروز لها جزء منا،
دمشق، القدس، وبعض المشاهد من بعض المسلسلات، نشرنا الذكريات في
كل الأرض وفي جدران السماوات كلها، شاركنا الجميع في هذه العلاقة
الطير في السماء، ياسمين الأرض، المسرح، الروايات والكتب والمكتبات
في كل مكان نحن والآن لا شيء سوى الغياب !

كنت يا أثير كلاسيكية بشكل عجيب وكأنك خارجة من أحد أفلام الأبيض
والأسود، أو جزء من مسرحيات أو سهرات فيروز التي أحبها من أجلك،
كنت أستغربك برغم الحداثة التي كانت تواكب قصتنا كنت تحبي كل شيء
قديم، أذكر أول مرة دخلت بها البيت التي كنت تسكنيه في دمشق، أذكر
كمية التحف وصور فيروز، الخشب، ساعات الرمل، أسطوانات الأغاني
ومسرحيات فيروز، كانت شقة خيالية وكأنها هاربة من أحد متاحف الجنة،
كانت تفاصيلها كثيرة وأذكرها جيدا فهي مازالت محفورة بقلبي .

أذكر أيضا عندما قلت لي : لماذا لا ترسل لي أي رسالة، أخبرتك حينها إننا
نتقابل كثيرا ونتحدث على الهاتف أيضا، قلت لي : أقصد رسالة ورقية من
الورق، سألتك مستغربا : ورق؟!!

قلت : نعم، أن تكتب لي على ورقة شعورا لا يضاهيه ألف شعور ولا تصل
له آلاف الرسائل الإلكترونية، الرسائل الورقية لها روح وتشعر إنها تنطق

بالكلام التي تحمله وتشعرك به، الرسائل الورقية مختلفة كثيرا تختلف في قلبي كثيرا وتقدرها روعي كثيرا أيضا، شعور أن تكتب على ورقة ، توقع عليها باسمك تضع عليها من عطرك الذي يشعرني بوجودك حتى لو كان بيننا شوارع وطرق كثيرة، الرسائل الورقية خلقت لنكتب لمن نحب وأنا أحبك أمجد ! لذلك أحمل لك هذه الرسالة :

(أمجد ... أحبك .

ملاحظة : أعلم أن الرسالة لا تحمل شيء غير كلمتين ولكنني كتبتها حتى ترسل لي رسالة ورقية وتعتاد عليها، ولأني أحبك!

(أثير .

كانت الرسالة بسيطة ... بسيطة جدا وكانت السبب الألف حتى أتعلق بك يا أثير وأحبك فوق حبي حبا، كانت بساطة معقدة وعظيمة المفعول ، بساطة لا يوجد منها في أي مكان آخر كأثير مثلك ... كعينيك السود الذي يبان الحب فيها كضوء كوكب بأكمله، شعرك الأسود، وجهك ناصع البياض كان نقي كميّاه الجنة التي لم أرها يوما إلا من خلالك يا أثير يا جهنمي وجنتي وكل الأشياء .

تلك الليلة يا أثير كانت تشبه ليلة الحب الأولى رسالة منك تشاركني غرفتي كنت أشعر بأنك أنت يا أثير من يشاركني فيها تلك الليلة، جلست على مكتبي أضع ورقة فارغة أمامي، هاتفني الذي يملك صورتنا الأولى كخلفية ورسالتك وبعض منك ومني أيضا، وكانت الأرض معركة من الأوراق التي تحمل كلام فاشل بمحاولة مني لأكتب لك رسالة يا أثير، علمت حينها كم أنا فاشل في كتابة الرسائل واستغرقت معي الليل كله يا أثير كنت لا

أعلم ماذا سأكتب، كنت كطفل لا يحمل بقاموسه إلا كلمة واحدة، ومن الحروف أربعة فقط، ومن الأسماء اسم واحد فقط .. اسمك أنت !

وبعد سبع ساعات يا أثير فعلتها، كانت رسالة قصيرة ولكنني استطعت أن أفعلها يا أثير :

(من أجلك أحب فيروز وجميع مسرحياتها و" سهرة حب " التي شاهدتها أكثر من عشرين مرة ... بسببك أحب دمشق، الجامعة وكلية الحقوق وكل الطرق التي تحملنا إليها ... لأنك أثير ببساطة سماوية وجملا يوسفى ... أحبك !

(أمجد .)

كنت دوما يا أثير أسأل كثيرا أستفسر عن الكثير من الأشياء وكنت دوما تجيبي، سؤالي الآن كيف ينام الإنسان في ليالي الفقدان الأولى يا أثير؟! الليالي التي كانت تشبه الموت أو شيء من الحياة، الليالي التي نشعر إننا نجلس فيها في المنتصف بين الأرض والسماء ليس في الأعلى ولا في الأسفل ليس موتا ولا حياة، منطقة رمادية كثيرة التشويش نكون حينها يا أثير مستباحين لذكريات، للخيبات والفقدان !

ونشعر بجهنم الكون كله تشتعل داخلنا، وإنما أضعف من أن نتحدث أو أن نتنفس حتى، نشعر بدمار كل الكواكب التي خلقت داخلنا وبأننا مطرودين من رحمة الله ومستثنين منها، ونود إننا لم نخلق يوما أو نتقابل أو نكون بالأصل، أن ننسى أو ننسى، ونسمع صوت أروحنا وهي تكسر وبانطفاء قلوبنا، نشعر باليتم ... يتم جديد النكهة يأكلنا أيضا، نشعر باليأس والندم، بالشوق، نشواق لنا، اعترف إنني اشتقت لك يا أثير في الليالي تلك اشتقت

إلى حد الذي جعلني أشعر بأن الحياة بدأت تنسل مني ولكن ليس إلى حد
الغفران !

نزداد جمالا ونحن نعيش الحب يا أثير ونشعر أن الحب يلعب بالملامح كما
يلعب بالقلوب والأرواح، عندما قلت لك أحبك أول مرة شعرت بأن الحياة
بدأت تتفتح داخلي لكن عندما قلتها أنت اختلفت كل الأشياء وانقلبت
الموازين، أصبحت أحب نفسي لأنك تحبينني وكان هذا الشيء كافي بأن
يجعلني أجمل أصبحت ارى نفسي بعينيك بعين الحب الذي نظرتيها علي
أول مرة !

ونذبل بالفقدان ننطفئ وكأننا لم نرى يوما نورا أو تفتحا، تصبح ملامحنا
شاحبة كقلوبنا، أذكر عندما قلت لك أن الحب لعنة وإنما الآن تحت تأثيرها يا
أثير أذكر إنك قاطعتني حينها مدة يومين لأنك كنت تكرهين أن نربط بين
الحب وأي شيء آخر، كنت تريه مقدسا تكرهين من يمس به أو يتحدث عنه
حتى خانت عينيك الحب يا أثير، ومشاعرك أيضا المشاعر التي انقلبت بليلة
واحدة لأنني رفضت أن أتنازل عن شيء جديد حينها، رفضت أن أسقط كل
ما أملك بمقابل أن تحصلي على كل الأشياء التي تريدينها أنت لم أكن أفهم
على ماذا كنت تراهنين يا أثير، وحتى الآن لم أفهم يا أثير !

نجلس الآن يا أثير على أنقاض قصتنا قصة استمرت أعواما وانتهت
بموقف واحد، حين أنظر إليها أشعر بسخط العالم كله يحيطني أحن لك يا
أثير لأيامنا التي عشناها وأيام لم يسعفنا القدر أن نعيشها، أحن إلى وجودك
في بيتي كالليلة المجنونة تلك الليلة التي شعرت إنني غنمت بالعالم أسره

حينها ، أحن إلى عينيك إلى صوت ضحكك، أحن إلى نفسي معك كنت
دوما أشعر إنني مميزا لأنني معك وبجانبك، أحن إلى فيروز معك، أحن يا
أثير إلى البدايات والرسائل والأغاني، أحن إلى دمشق التي كانت تختلف
معك، إلى الحديث معك فأصغر الأشياء كانت تملك نكهة عظيمة يا أثير
لأنك تحدثت عنها يوما !

أعلم يا أثير أنك حاولت أن تعود، بذلت بعض المجهود لكن أقل مما
استحق، كان جهدا لا يساوي شيء أمام كل أحلامي التي ضحيت بها من
أجل علاقتنا .

حلمي الأول بالسفر لإكمال دراستي العليا تخليت عنه لأنك كنت بسنة
التخرج وكنت رافضة فكرة أن أسافر لوحدي وقاطعتني حينها شهرا
وأسبوع يا أثير حتى تنازلت عنه من أجلك كالمسير كنت مسيرا يا أثير لم
أختر أي شيء إلا حبك وكانت ضريبة هذا الحب وثمرته التخلي عن كل
أحلامي !

تنازل خلف تنازل حتى أصبحت صفرا يا أثير لا أملك أي شيء حتى جاء
الموقف الأخير وكان الفراق، كنا نجلس في الحديقة التي اعتدنا عليها
وكانت تلك الفترة سيئة جدا في علاقتنا كانت أشبه بذرات طحين وشعير في
الأرض وهواء الشتاء يقرع الأبواب، كنا نتحدث عن المحامي التي تنوين
التدريب عنده وكنت أنا رافض لسمعته السيئة التي شاعت في المدينة وكنت
أنت تصرين على الأمر وكنا حينها قد تحدثنا كثيرا عن الأمر كما تذكرين
وأنا متأكد إنك تذكرين لأنك شديدة الملاحظة وسريعة التركيز وعديمة
النسيان يا أثير، قلت لك حينها : إن ذهبت إلى مكتبه أعلمي أن كل شيء قد
انتهى يا أثير، نظرتي إلي نظرة استخفاف وكأنك تردددين في نفسك إنها

العادة وإني سأنسى بعد يومين، لكنني كنت جدي في ذلك الأمر حتى يصعب علي أن أغفر وحتى إن حاولت فتلك النظرة قبل ذهابك تمنعني يا أثير .

25 / كانون الاول / 2021

لم أجد يا أثير يوماً مبرر لكرهي لفصل الشتاء ، ولا أعلم حقاً لما أكره المطر مع أن روحي بأشد الحاجة إليه ، أو لماذا أشعر بأن الغيوم تخنقني ، ولم أجد سبب أقوى لكرهي لشتاء سوى غيابك أنت أو " زعلنا الذي طول " كما قالت فيروز .

غيابك أعني به أنه لن أسمع صوت المطر مع صوتك الذي يغني لي وأحبه كثيراً، ولن نسمع أغاني فيروز معاً، ولن أخرج في الصباحات الباردة لأجداً تنتظريني كالعادة، ولن نتحدث طوال لياليه حتى نخطط لمستقبل أعيشه الآن دونك، لن أراك تزدادين جمالا في الملابس الشتوية ولن أرى انفك المحمر من البرد والهواء، ولن نحمل مظلة واحدة نحتمي بها من المطر .

أتى هذا الشتاء يا أثير دونك، ولم أكن أشعر بالبرد كالبرد الذي يلفني الآن، لأول مرة منذ خمس سنوات أشعر أن الشتاء موحش وكئيب لأول مرة أشعر إنني حقاً احتاج أن نعود .

قد لا أغفر لكل ما مررت به في تلك الفترة التي لا تنتهي مني ولا تتركني أعيش كأبي إنسان سوي حتى اليوم، لكنني أغفر لأبي الذي مات قبل أن

يخبرني بذهابه، أغفر لأمي التي كانت باردة المشاعر، قد أغفر إلى إخوتي إلى نفسي إلى الدنيا ولكن لن أغفر لك أبدا، لن أغفر ليس لأنني لئيم أو لا أنسى، ولكنني لا أغفر لك يا أثير لأنك كنت الوطن والعائلة أمي، أبي وكل الأصدقاء، كنت روعي الثاني كنت أرى فيك طفلي الأولى، وأيضا حبيبي الأولى، لأنك من علمني كيف أحب، كيف أفرح وكيف أكتب، كيف أنسى حدود الأرض وأطير إلى الأعلى، لأنك علمتني عليك، لأنك جعلتني أعتاد عليك وأتعرف إلى نفسي التي ضاعت في أعماقي، لن أغفر لك لأنني ما زلت أسمعك أشعر بك وما زلت هنا أراك في كل ما افعل وبأصغر ما افعل!

عقيمة اللغة يا أثير على أن تصف الخيبة التي ما زالت تشاركني حتى اليوم، الخيبة التي حملتني أن أكتب لك هذه الرسالة ... رسالة ورقية كما كنت تحبين رسالة ستشعرك بالخيبة التي جعلتني أعيش بها لأكثر من ستة أشهر، وأكتبها لأنني ما زلت أحبك !

يا مرسال المراسيل !

(مرحبا من جديد يا عمري كله، نصي الأجل، وحببي دوما وإلى الأبد ،
أعلم إنك الآن على بعد مسافات كبيرة عني، بعيدا جدا وقريب جدا أيضا ،
اليوم كان الامتحان الثاني لي في الجامعة وغدا الامتحان الأخير وأخيرا
كان فصل مرهق دونك، دون ملامحك التي كانت تهون علي الجامعة،
الحرب وظروف المعيشة التي أصبحت لا تناسب إنسان أو أي كائن بأن
يبقى هنا بالأصل، اليوم عندما كنت بطريق العودة كنت أنظر إلى مدينتنا يا
عماد كنت أشعر بأنها تنزف دماء وثقافة وعراقة، ويزداد قهرها يوما بعد
يوم، أصبحت دمشق حزينة يا عماد حزينة إلى الحد التي أصبحت لا تشبه
دمشق التي تغنت بها فيروز، ليست دمشق التي أنجبت الشعراء والكتاب
دمشق التي كانت يوما رمزا للعراقة والأصالة والتاريخ أصبحت الآن
عنوان للقهر واليأس والموت، أصبحت خراب لم يعد الياسمين يلف في
حاراتها، ولا صوت فيروز يطرب كالسابق، أصبحنا هنا بمدينة لا شيء
فيها يشبهنا ، لا يعرفنا ولا ولدنا يوما عليه .

اليوم جاء الطبيب لأن أبي فجأة فقد وعيه وسقط على الأرض كان السكري
مرتفعا كثيرا لكن هذه المرة مضت على خير الحمد لله، الشتاء هنا قوي يا
عماد أقوى من كل عام ونشعر أن الشتاء حقا ينخر الأرواح ليس العظام
فقط، الأرواح التي امتلأت بالفقدان، الموت، والحرب والدماء يا حبيبي ،
علي أن أنهي الرسالة الآن حتى أبدأ بدراسة الامتحان للغد ، أدعو لي كثيرا
وأنا سأفعل بتأكيد ، أحبك وأشتاق جدا جدا لك .

شغف .

دمشق - 2012/1/12

(صباح الخير يا عماد، أعلم إنني تأخرت هذه المرة كثيرا بعد الرسالة تلك، لكن كانت فترة عصبية يا عماد، عصبية إلى درجة إنني نسيت كيف نكتب بالأقلام يا حبيبي، ونسيت أمر الأوراق حتى فأبي دخل إلى المشفى منذ أسبوع ولم يكن بمقدوري أن أمسك نفسي عن البكاء والقلق أو أن أكتب لك حتى .

كنت خائفة جدا على أبي يا عماد كنت خائفة من أن يذهب رجل حياتي الأول كانت الأفكار السوداوية لا تغادر روعي طوال المدة التي كنا بها في المشفى، كنت في كل ليلة عرضة للكوابيس عرضة لأن أكون مكسورة بأبي أن اسمع جملا لا أريدها وأعيش أياما لا أتمناها لأحد، كانت الأفكار فقط تجعلني أشعر بضعف تمدني بكل انواع اليأس من شفاء أبي حتى، لكن الحمد لله خرج أبي من المشفى شبه معفى لكن لم يكن يهمني سوى إنه هنا معي يسندني ويحميني فوجوده بالبيت مختلف نشعر أن البيت يحمل سر من أسرار السماء، نشعر بروحه بدفء بيتنا، قلوبنا، وأروحنا لأنه موجود معنا يا عماد .

اليوم كانت الأخبار تتحدث عن انفجار قريبا من المشفى وكنت أنا قد مررت من تلك المنطقة قبل دقيقة أو دقيقتان، أي لو تأخرت في تلك المنطقة أكثر كنت الآن أشلاء، كل ما تعود الفكرة إلى عقلي أكاد أن أجن أصبحنا في بلد لا نؤمن بها حتى على أروحنا وأصبحنا عرضة للموت بأي ثانية، بالأمس علمت علامة الامتحان الأول كانت ممتازة بفضل كل الدعوات التي دعوتها لي تلك الليلة أحبك عماد بقدر ما تحمل هذه الكلمة من سعادة لي .

شغف .

(دمشق - 2012/1/27)

(صباح الخير إلى حلمي الأول !

تذكر عندما قلت لك إنك الشيء الوحيد الذي تحقق بحياتي؟! حقا يا عماد حتى الآن أجزم إنك أجمل ما أصاب عمري البالي الذي يتفتح كل يوم معك، أنت السكينة لروحي التي لم تهدأ إلا عندما واسيتها بلمساتك الهاربة من أحد ملائكة الجنة، كنت قادر علي علي تقاباتي النفسية وعصبيتي الزائدة وحيي الكبير الذي جعلني كالمجنونة لا أريد من أحد أن يفضلك أو ينظر إليك أو يتحدث معك كما أنا أفعل، أحبك حقا يا عماد وأكتب هذه الرسالة لأعلمك قدر هذا الحب الذي أصابني بسببك وبسبب وجودك العظيم في حياتي !

أعلم أن الرسالة اليوم مختلفة جدا يا عمري لكن اليوم استيقظت وشعرت كأنني جديدة على الهوى جديدة على العالم الذي غرقت به منذ أن قابلتك ولم أسلم من هذا العالم حتى اليوم، لا أعلم كيف ستكون حياتي لو لم تكن بجانبني؟ كيف سأعيش دون كل الأيام التي كنت وما زلت تصنعها لي في صوتك؟! أسأل نفسي دوما إن لم نكن تقابلنا حتى اليوم كنت ماذا أفعل الآن؟! ماذا أفعل في الوقت الذي أحبك به فالوقت الذي أصنع مستقبلنا في مخيلتي أو أكتب لك رسالة لم يكن ضائع يوما بل هو الوقت الأفضل والأنعم في كل عمري .

أشعر يا عماد وأنا أكتب هذه الرسالة إنني في الغيوم الآن أكتب وأنا أطيح في السماء عاليا، أكتب هذه الرسالة لأنك مختلفا يا عماد لأنك تحملت الكثير الكثير من أجلي وأكتبها لأنك تحبني !

. شغف .

(دمشق - 2012/2/2)

(مساء الخير يا عزيز روعي كما تحب أن أنعتك !

بدأ اليوم الفصل الأخير لي في الجامعة أخيرا أشعر أن الفصل هذا سيكون ثقيل جدا وأشعر أن الأيام تخبئ لي شيء كبير لكن لا يهم المهم الآن أن اللقاء اقترب يا عماد ... يا شغفي للحياة والحب إنها أشهر قليلة فقط وسنبقى معا في المكان نفسه يا عماد حينها سأنظر لك كثيرا حتى تكفي روعي منك، سأتابع ملامحك كطفلا تراقب أمه تغيرات ملامحه، سأخذ بك إلى صدري لتصلح لي بعناقك كل هذا الخراب الذي أعيشه، سألمس شعرك الأسود ، جفونك، أشعر يا عماد الآن وأنا أكتب هذه الرسالة أن حياة جديدة بدأت تتفتح داخلي، حياة مليئة بصوت ضحكك، بحبك ... حياة كلها مربوطة بك أنت الشخص الأهم والوحيد بها .

اليوم في محاضرة القواعد كان قد كتب على اللوح جملة جعلتني أهتز جملة لا تمد إلى الحقيقة بصلة، كان مكتوب " كل شيء بالحب والحب مباح " توقفت كثيرا عند هذه الجملة، شعرت بسخط يحيط بي من كل جانب، كنت لا أفهم حقا يا عماد كيف للحب الذي يبني كواكب ونجوم داخلنا أن يكون في مرتبة الحرب نفسها، الحرب الذي يدمر ويجعل كل مكان يدخله خراب؟! كيف للحب الذي يحينا ويضيف لنا فوق حياتنا حياة أن يكون مع الحرب في الجملة نفسها أو أن يقارن بالحب حتى، كيف للحرب الذي يخلف أموات وجرحى أيتام وأرامل وثكالي أن يكون كالحب؟! كيف لشيء سماوي بحت أن يساوي بشيء أرضي؟! كانت جملة غير عادلة يا عماد كالحياة تماما الحياة التي جعلتك ببلد وجعلتني في بلد آخر ولم يكن هناك أي شيء يجعلني أن أصبر سوى رائحتك التي تصلني مع كل رسالة ... أحبك.

شغف .

دمشق - 2012/2/15) .

(آه يا عماد آه ... انتهى كل شيء وأصبحت يتيمة !

يصعب علي أن أصدق يا عماد أن حياتي كلها الآن أصبحت ضيقة جدا ومحدودة أصبحت رؤيتي أضعف قلبي أضعف وحتى روحي أصبحت ثقيلة وضعيفة .

مات أبي يا عماد أصبحت كما كنت أخاف يتيمة رغم كل الليالي التي مضت وأنا أدعو بأن لا أصل إلى هنا، حتى الآن أذكر رجفة روحي وكيف اهتز كوني يا عماد وكيف اتشح قلبي بالسواد حينها، كنت واقعة بدوامة لا تنتهي عندما سمعت الخبر، كنت لا أريد أن أصدق ما سمعت أريد أن أمسح تلك الجملة أن أصمت صوتها وكأنها غير موجودة في قواميس اللغة حتى .

مر أكثر من خمسة عشر يوما ولم تخرج تلك الأصوات من رأسي أبدا ... يوم السبت بعض صلاة الظهر كانت صلاة الجنازة ... جنازة أبي وأنصافنا جميعا خرج من المسجد إلى البيت للمرة الأخيرة محمولا بكفن أبيض، كان المكان يعج بأصوات كثيرة أصوات لا تغادرني أبدا وبناس كثيرين لا أذكر أو أعي منهم كثيرا، لم أكن أعي إلا أنني خفت ... خفت من أبي للمرة الأولى خفت ولم أضع القبلة الأخيرة حتى، لم ألمسه أو اقترب منه حتى تشبثت في مكاني انظر إلى النعش من بعيد إلى أمي، حاملين النعش، الجيران ، أصدقاء العائلة والصديق المقرب إلى لأبي، أعمامي، وأنا من بعيد هناك وكأنني خارجة من هذه الصورة وأشاهد أحد الأحلام .

طوال أيام العزاء يا عماد كنت أكره أن أسمع أي جملة ك" الله يرحمه " أو من هذا القبيل كنت أكره هذه الجمل، أكره صوتها وكأنني بكرهي لها أعبر عن إنني لم أكن مصدقة بعد، حتى الآن يا عماد أنتظر أن يعود أبي، أو أن يكون كل ما مررت به حلم، كانت أيام خراب ... خراب لقلبي، لروحي

لبيتنا التي مضيت عمري وصنعت به كل ذكريتنا الآن أصبح خراب دونه
يا عماد .

أكره الموت يا عماد، أكره الفقدان وأخاف منه، أكره من أخبرني في
ذلك الخبر أيضا، الخبر الذي أندب أعمارنا إلى الأبد، كان خبرا كفيل
بأن يغير حياتي إلى الأبد وأن يغيرني أيضا، اشتقت إلى أبي كثيرا
فكان لوجود في البيت هالة كبيرة وبعده أصبح البيت ينقص إلى
أساسه وركنه الأهم ويفقد شيء جعله مطفى دون أي بريق، أفتقد إلى
الكثير من الأشياء منذ غيابه أفتقد إلى صوت صفحات المصحف إناء
الليل إلى تمتمة صلواته ودعواته إلى صوت أم كلثوم عند العصر
وصوت الحنان الذي خلق لأنه يمتلكه أفتقد إلى روحه ولمعان عينيه
وافتقد إلى أجزائنا التي رحلت فوق نعشه فكلنا ناقصين ، أيتام
ومشتاقين له هنا .

عندما أغمض عيني لأنام أرى صورة أبي وترتسم صورتك أيضا
حينها كنت أشعر بالأمان يا عماد، وأشعر إنني لم أكن وحيدة إلى الحد
الذي رسمه عقلي داخلي فأنت هنا معي من أجلي ولي ، أحبك
واشتقت لك كثيرا لأبي .

. شغف .

. دمشق - 2012/3/15 (.

(مرحبا يا شخصي الوحيد الآن !

مر أسبوع على رسالتك الأخيرة يا عماد حتى الآن ما زلت تحت تأثيريها، ما زالت كلماتها تلوح في خيالي، وتلفني بالأمان الذي كنت بحاجة قبل أن تصلني كلماتك يا عماد ! بالأمس عدت إلى الدوام بالجامعة بعد ما أصابني، كانت الشمس باهتة، الطريق مظلم وضيق كنت أشعر بضيق عظيم وكأن الكون كله يجلس على صدري، كنت كل ما أريده أن ينتهي الدوام وأعود إلى البيت كنت كطفلة في يومها الأول بالمدرسة لا تفهم أو تعي شيء خائفة وتريد أن يكون والدها أو والدتها معها وأنا كنت بحاجة أبي معي، كان من أثقل الأيام التي مرت علي في الجامعة منذ أن بدأت، لكنه انقضى و عدت إلى البيت لكن لم أجد حتى طيف أبي هناك فكنت طوال الطريق انتظر أن أصل إلى المنزل ونسيت أن أبي ليس هناك أيضا ولن يعود أبدا .

أعتقد أنني سأظل حبيسة فقدان هذا يا عماد لن اتحرر منه أبدا، أصبحت خائفة منه إلى الحد الذي يجعلني في كل ليلة أذهب إلى غرفة أمي أكثر من عشر مرات حتى أتأكد أنها تتنفس، أن لا تخون كل الوعود كما فعل أبي وتذهب وخائفة جدا يا عماد خائفة عليك، خائفة أن يمسك شيء أعتقد يا عماد إنني لن أعود شغف التي كانت بعد كل ما حصل كانت مصيبة أعظم من كل ما مر علي من قبل كانت كعاصفة اقتلعت الأمان الحنان ودفء وركن روحي الأساسي ، أحبك عماد ، أحبك جدا ... انتبه على نفسك من أجلي !

. شغف .

. دمشق - 2012/3/24) .

(استغرق الأمر الكثير من الوقت، استغرق الكثير من عمري حتى استطعت أن أعود وأمسك الأوراق يا عماد وأكتب، مر سنتين على تلك الرسالة... الرسالة التي طلبت منك بها أن تنتبه على نفسك ولم أكن أعلم أن القدر قد كتب شيء آخر لي يا عماد، كتب أن تخطف مني بعد يومين من تلك الرسالة، كان الخبر أكبر بكثير من أن يصدق أو أن يجعلني عاقلة حتى، عندما وصلني الخبر يا عماد لم أكن أفهم حقا إن كنت غادرت الحياة أم لا، لم أكن أفهم سوى أنني خسرت كل شيء بأقل من شهرين حتى، كانت صاعقة في الوقت الذي لم يهدأ به قلبي من عاصفة فقدان أبي حتى جاءت تلك الصاعقة وشوهتني إلى الأبد .

لم أر حتى هذا اليوم ذرة عدلا يا عماد، تساقطت أحلامي جميعها ، فقدت أبي، فقدت الطمأنينة والسكينة، فقدت الأمان والراحة، فقدت الربيع داخلي والنجوم التي كانت تضيئي أصبحت معتمة اسكن منطقة السواد ، وفقدتك أنت يا عماد ، أين العدل في كل هذا؟! وأي عدلا يجعل عماد الذي هرب من الموت أن يقتل هناك لسبب تافه لأنه في غربة عن وطنه وغير مرغوب به في ذلك البلد؟! أي عدلا يجعل اللاجئ اليوم أما خادم أو قتيل؟! وأي عدلا ذاك الذي يرمني من مكان شاهق إلى أسفل درك في جهنم هذه الحياة؟! حياة تنشر اللعنات في كوكبي تستبيحه، تزرع فيه الخيبات لأحصد كل ما أعيشه الآن !

بعد مرور شهرين على خبر قتلك يا عماد اقترحت علي أمي أن أذهب إلى طبيب نفسي، كنت قد فكرت بالأمر لكنني لم أتجرأ حتى اقترحت علي أمي وذهبت، وصلت إلى الدكتور وجلست على المقعد الذي لطالما شاهدناه في الأفلام الأجنبية التي كنت دوما تفضلها عكسي، وكان الطبيب يجلس على الكرسي بجانبني وطلب مني أن أغلق عيني وقال :

- أريد أن تصفي لي شيء تريه الآن .

صمت لبعض الثواني ثم فتحت عيني فجأة كناية وهاجمتها الكوابيس .

- ماذا ؟

قلت : لا ... لا شيء لنحاول مرة أخرى .

أغمضت عيني مجددا ورفضت خلايا عقلي حتى أرى شيئا آخر ولكن رأيت ما رأيته أول مرة، وكنت على وشك أن أفتح عيني قال لي الطبيب : لا أبقها مغلقة أرجوك ، أريدك أن تصف لي ما تريين .

قلت : أرى نفس اللحم الذي كنت أراه عندما مات أبي ، أرى أبي ثم أرى عماد خلفه و

- ماذا !؟

حينها لم أعد أرى شيء وكأن خلايا عقلي أغلقت امامي ما كنت أرى، انتهى ذلك اللقاء يا عماد دون فائدة وعدت أكثر من مرة لكن دون أي فائدة أيضا وفي اللقاء الأخير أكد لي الطبيب إنني لا أستطع أن أتخلص من بقاياك وإنك سترافقتي دوما قال لي إنني غارقة في بحر الذكريات والماضي ولا أريد أن أتمسك بأي شيء حتى أنجو، حتى وصلت إلى النقطة الأعمق، النقطة التي يصعب علي أن أعود منها .

أعيش الآن بسواد يا عماد فذلك الحادث الذي لم يستغرق عشر ثواني أطفئ حياتي كلها، كسر ظهري جعلني لا أملك شيئا، حتى الجامعة لم أخرج منها فلقد توقفت عن الذهاب إلى الجامعة مع كل هذه الخسائر يا عماد، ما زالت الحياة حوالي مستمرة، الحرب ما زالت مستمرة أيضا لكن بشكل أظلم وأكثر دمارا، وما زالت أوراقى تنزف أيضا طوال السنتين التي مضت

لأنني لم أعد أملك أحد أكتب له بعدك يا عماد ولا أعرف لأي جهة أرسلها، لكن هذه الرسالة أكتبها لعل أحد الملائكة تحملها إليك يا عماد لتعلم حالتي لتعلم حجم خيبيتي وسوء حظي، لتعلم إنك كنت ظهري وصبري، وإنك كل حياتي ... حياتي الفارغة الآن دون وجهك أحبك عماد ... أحبك بقدر ما تحمل هذه الكلمة حزن لقلبي وضياع لروحي وحسرة على رسائلي وعليك وعلى نفسي .

. شغف

. دمشق - 2014/5/5)

كيفك أنت؟!

لا يموت الحلم أبدا ! لم يمت حلمي بك يا نور طوال سنوات التي مرت علي، كنت دوما هنا شيء منك ما زال يرافقني منذ أن مالت بنا الأرض وبعثرتنا، كل الأشياء كانت تحتفظ بشيء منك شيء لا يغادر أبدا واضح كشمس، جميلا كالجمال، يجعلني دوما أعود لك لنور التي ما زلت أحتفظ بها داخلي ، لنور التي لم تمت يوما كالأحلام، فالأحلام لا تملك حدود، لا تنتهي، ولا تنطفئ وتذبل أبدا !

قد تكون الصدفة أحد أهم الأسباب لنشأة أي علاقة يا نور، لكن الصدفة تلك كانت مختلفة، صدفة أعادت إحياء الحب الداخلي، الحب الذي بدأ يموت من الغياب، وروتين والبعد، لم أتوقع أن أعود وأراك من جديد، ولم أتوقع أن أتعرف إليك بهذه السرعة رغم علامات الزمان والفراق التي أخفت الكثير منك لكنها لم تطفئ نورك كان نورا خفيفا لكنه استطاع أن يشدني، وأن يميزك كان نورا خفيف قادر أن يفتح كل أيامنا التي انطوت في دفتر الذكريات يا نور، أيام الشباب والحب أيام ليست قليلة على أن تجعلني أنتفض منها، أنتفض من عودتها ومن شوقي لك !

الحب كالموت يأتي على غفلة، هكذا جنئت يا نور في المكان المناسب في توقيت المناسب كأنك الاستجابة لكل دعواتي، ولو كان الأمر كله بيدي لما اخترت توقيت أفضل منه .

طوال كل السنوات هذه يا نور لم ينسك قلبي أبدا فقلبي لا ينسى كل النساء التي مرت عليه، لا ينسى حنان أمي المفرط، الحنان العظيم الذي ولد معي، ولا ينسى أختي الكبرى وغريزة الأمومة التي اكتسبتها بالفطرة، ولم ينسك يوما لم ينسى نور صاحبة الخطوات الأولى في مدن روعي ومملكة قلبي، لم ينسى صوتك الذي كان يتساقط على أذني كإحدى نعم الجنة، لم ينسى

كيف أحتلته بخفة ونعومة وكيف لمستته بطريقة تشبه لمسات ملائكة السماء،
لم ينسى رعدة الحب الأولى ولا اللمسة الأولى ولا حميمية القبلة الأولى
ودفء العناق الأول، ولم ينسى كيف كانت تطراً عليك عواصف غربية
كنت فتاة مجنونة مليئة بالمطر والغيوم بالبرق والرعد كنت دوما مميزة
بأفعالك، ولا انسى مهما حبيت كيف كنت أنظر لك دوما كيف أتأمل
تفاصيلك كنت عالم مليء بالنجوم يصعب إخفاؤها أو التجاوز عنها دون أي
تأثير، كنت فتاة يصعب اقتلاعك، تذويك أو نسيانك أو التوقف عن التفكير
بك حتى !

كنت دوما أسأل نفسي يا نور ماذا لو تقابلنا من جديد؟! ماذا لو انتفضت
السماء والأرض حتى نعود؟! وماذا لو عدنا كأننا لم نتفارق يوما؟!
كانت هذه الأسئلة دوما تشاركني يا نور تأخذ الحيز الأكبر من عقلي
وروحي ولم أكن أعلم بالأصل إننا سنتقابل، حتى عدت ورأيتك من جديد يا
نور في المسرح، كنت مدعو حتى أشاهد المسرحية كون المخرج لها هو
صديقي المقرب وشاهد الوحيد على قصتنا التي أستمرت لأربعة أعوام،
وكنت أنت هناك أيضا، كنت تجلسين على المقعد خلفي تماما كان حينها
ضوء المسرح خافت وضعيف، بعد أن انتهى العرض حاولت أن أخرج
مسرعا حتى وجدتك خلفي، حينها شعرت إنني في سماء وأن أحد الملائكة
هناك تشبهك شعرت بالحياة بدأت تضخ بعروقي من جديد وكأنني كنت
ميت طوال تلك السنوات، شعرت بالحب وبفرشات تطير في صدري
شعرت بروحي وهي تطلق وتحرر من جديد، شعرت بخفة طفلا صغير
وعدت ذلك الشاب اليافع الذي أنتفض بك حبا وعدت إلى قصتنا التي مر
عليها أكثر من ثلاثة عشر سنة !

نور ... نور .

التفت حينها والتفت قلبي من جديد أيضا نظرتي لي نظرة شك لم تكوني متأكدة من لكنني شعرت بأنك عرفتنى وقلت بصوت مرتجف يشع بالحنين رويد !!

شعرت بفرح حينها شعرت إنني ما زلت حي بك كما أنت !

كنت مرتبكا لا أعلم ماذا أقول ولم أكن أريد أن أتحدث بالأصل كنت أريد أن أراقب ملامحك يا نور أن أراقب وجهك، عدد الخيوط التي ارتسمت إلى جانب عينيك، شعرك، أن أرى نفسي في عينيك من جديد !

بعد خمس دقائق من صمتنا سألتك : ما زلت تحبين القهوة ؟!

أجبت بغرابة تعتلي ملامحك : نعم .

قلت حينها : هل نذهب إلى قهوتنا ؟!

لم تجيب حينها وأخذت أنا الصمت علامة القبول كالعادة .

كانت تلك اللحظات من أجمل لحظات حياتي على الإطلاق، كانت الساعة حينها 8:55 دقيقة وعدد كبير من نبضات قلبي، وكنا في الشتاء الذي نحب يا نور وكان المسرح على بعد عشر دقائق عن القهوة التي كانت تجمعنا دوما القهوة التي جمعتنا لأربع أعوام معا، جمعت جميع ذكرياتنا أيضا وقررنا أن نمشي من المسرح إلى القهوة، كان القمر مكتملا والشوارع شبه فارغة، وتغطي السماء بعض الغيوم الحمراء كانت ليلة في وسط الشتاء ليلة مجنونة لا تنسى أبدا !

سألتني في الطريق عن عمل، وعلمت أن مدير الشركة التي أعمل بها يكون من أحد أقاربك !

قلت لك : ما زلت تحبين وتسمعين فيروز ؟

قلت : نعم، لأنها تذكرني بك .

قلت لك حينها : حقا ؟!

- نعم .

وصلنا إلى القهوة التي كانت تضج بذكرياتنا كانت القهوة كصندوق كبير ممتلئ بنا، صندوق كبير به تبادلنا أول رسالة، أول هدية ولمسة وقبله وهنا أيضا افترقنا، وفرق شملنا كانت كساحة الحرب تماما وكانت النتيجة واحدة أصبحت مبتور جزء مني سقط في حرب اللقاء الأخير يا نور لكن حينها شعرت أن شيء من ما فقدت عاد .

فتحت باب المقهى بانث الأيام الحلوة وبدأ الحنين يهاجمني من كل جانب، كان مكان دافئ مليء بالخشب وفيروز والقطع الأثرية وبناء، كان حينها شبه فارغ دخلت نور واتجهت إلى الطاولة نفسها، وجلست على الكرسي نفسه، ووضعت معطفها والحقيبة التي كانت تحملها على الكرسي الآخر كما كانت تفعل دوما، وحررت شعرها من الربطة التي كانت تحاصره كما كانت تفعل في كل مرة ندخل بها إلى هنا شعرت للحظات أنها نور نفسها وإنما لم نتفارق أبدا، وجلست انا في مكاني والغريب أن الطاولة ما زال محفور عليها أسمك كما هو محفور بقلبي وتمنيت هنا إنني لم أذهب يا نور، تمنيت أن تكون حالتنا الآن ليست كما هي عليها، وتمنيت إنني لم أعود أبدا .

تعلمين إنني لم أدخل إلى القهوة منذ اخر مرة كنا بها معا ؟

- حقا ؟

نعم لم أكن أملك القدرة أن أدخل يا نور دونك أو أجلس على هذه الطاولة ... طاولتنا دونك أو أنتظر دون أن تأتي .

- حتى أنا ، لم أعد لكن ليس لنفس السبب، لم أعد خوفا أن نلتقي مرة أخرى يا رويد، ويقيدني حبك ولا أستطع أن أذهب مرة أخرى .

قلت : مر وقت كثير يا نور علينا أشعر إنني بأخر الشيخوخة، لم أكن أصدق بأن لك كل هذا التأثير علي يا نور كنت كالماء والهواء والشمس لنبته صغيرة وبغياك أصبحت ميتة، كنت حياتي يا نور حياتي بكل ما تحمل هذه الكلمة من أصغر المعاني وأكبرها .

تغيرت ملامحك شعرت بسخط الحب بدأ وينتشر بها ، لمعة عينيك العسلية التي كانت الشمس والكتب القهوة والخريف ونار الدفء بشتاء تذكرني بها، وكأنك موجودة بكل شيء وقريبة من كل شيء وبعيدة كل البعد عني .

حاولت أن أقاطع تغير طقوس وجهك وروحك وسألتك :

شاي أم قهوة ؟!

- شاي ...

" لو سمحت أثنين شاي "

- لماذا عدت ؟! لماذا الآن يا رويد، في الوقت الذي تطلقت به عدت أنت وظهرت في حياتي، ألم تكن تريد الغربية ؟! الغربية التي أخذتك مني، الغربية التي كانت تشاركنا كل أحاديثنا، لماذا ؟

قلت : لأنني كنت أحتاج أن أتنفس يا نور عدت في اللحظة التي أدركت بها أن البعد يأكلني وإنني لا أستطع أن أكمل هناك بعيدا عن هذا الوطن، كنت أريد أن أعود لعلي أحظى برويتك لأنني مشتاق لك كثيرا ولأنني خسرت

كثيرا بعدك يا نور، كانت الغربية قاسية جدا علي وكنت أضعف من أتحمل
البرد الذي كان يحاصرني، هنا في سحرا غريب يا نور سحر دوما يربطنا
مهما كبرنا في المكان الأول يحملنا إليه حتى إن فقدت بوصلة أرواحنا
الاتجاه، وكنت أنت جزء من هذا السحر يا نور .

- وكل الأشعار التي كنت تضربها بالغربة أين اختفت؟!!

لا أعلم يا نور ... لا أعلم ولا يهم أن نتحدث عن الأمر كثيرا الآن .

- لا بل مهم جدا، لأنني عانيت كثيرا بسببك يا رويد لم أتخيل حتى أن تعود
بعد أن تخليت عني من أجل أن تسافر .

لكنني عدت يا نور ...

- عدت بعد ماذا ؟ بعد كل الليالي التي جعلتني معلقة بها، بعد كل الأيام
التي كنت أموت بها ألف مرة ومرة، بعد أن جعلتني أكره نفسي لأنني
أحببتك يوما أكثر بكثير من قدرتي على نسيانك، كنت أراك بكل شيء
وأكره نفسي أكثر يا رويد، عدت بعد أن كنت بيدك وتخليت عني ؟
لم أكن أعلم بماذا أجيب حينها حاولت أن أغير الموضوع بأي طريقة ...
قلت : لماذا تطلقت ؟

- لم نتفاهم .

أنجبت أطفال؟!!

- نعم، شام ومحمد .

شعرت حينها بأنني فقدت شيء عظيم، فقدت شيء كان لي من حقي، فقدت
حلمي بأن يكون طفلي الأول هو طفلك الأول أيضا، ولم أستطع أن أكسبك

شعور الأمومة الأول الذي يولد مع الطفل الأول، حينها أيقنت أنني خسرت كل شيء من أجل غربة لم تزيدني سوى وهن فوق وهن .

- وأنت ؟

لم أتزوج بعد.

- حقا ... لماذا !؟

لأنني لم أتزوجك يا نور ولم يكن هناك أي امرأة أخرى في هذا العالم تشبهك ببساطة لا يوجد نور أخرى .

صمت خمس دقائق ، ثم قلت :

أعتقد أن ينتهي الحديث الآن يا رويد، تأخر الوقت وعلي أن أذهب .

قلت : هل سنتقابل مرة أخرى ؟

- لا ...

لماذا ؟

لنتعادل يا رويد، أنا أحبك و ما زلت أحبك وسأبقى أحبك لكن سأتخلى عنك فأنا اعتدت أن أحبك من بعيد ولوحدي ولن أسمح لك أن تعود وتتخلى عني مرة أخرى .

قاطعتك : أعدك يا نور أن أتخلى عن كل شيء إلا عنك أنت .

- لقد وعدتني كثيرا يا رويد أربع سنوات كاملة وأنت تعدني والنتيجة إننا نتفارق هنا مرة أخرى ... رويد أرجو أن لا تبحث عني ، أنا أحبك يا رويد أجعلني أحافظ على هذا الحب بقلبي ... وداعا .

خرجت مسرعة وخرجت روعي أيضا، خرجت كما خرجت في آخر مرة
لنا هنا دون أن تلتفت وعدت أنا وحيد مرة ثانية لكن هذه المرة لم أختار أنا
هذا البعد أو هذه الوحدة، عندما خرجت شعرت أنني عدت إلى الغربية مرة
ثانية فأنت كنت الوطن الذي عدت من أجله لكنني نفيت منه .

كل السنوات التي مضت كانت أغنية واحدة تدور برأسي دوما أغنية في كل
مرة كنت أسمعها كنت أشعر بالخوف بأن تصبح أكثر من أغنية ... حتى
أصبحت الآن ما أعيش، أنها أغنية فيروز قيثاره السماء التي لم تغني يوما
إلا لنعيش كل ما تغني، ويسكن في رأسي مقطع واحد فقط : "بيطلع عبالى
أرجع انا وياك أنت حلالي أرجع أنا وياك أنا وانت .. ملا أنت ملا انت "

أحبك يا نور فكل السنوات التي مضت لم تملك القدرة على جعلي أنسى
وكيف أنسى عينيك أو ضحكتك، بل السؤال الأصح والأكثر وضوحا كيف
يمكنني أن أتخلص من ذكرياتنا كيف يمكنني أن أمحي كل أيامنا معا، أعلم
أنني من بدأت بهذا الحرب يا نور والآن أنا الوحيد الخاسر بها فأنا مهزوم
بك يا نور .

بعذك على بالي !

كيف له أن يحيا بداخلي بعد أن قضى إلى ذلك الحال ؟ سؤال ما زال يتردد داخل هذا العقل لا يريد أن يغادر، متشبثا في عقلي كشجرة زيتون متعلقة جذورها في أعماق نقطة في الأرض .

عشرون سنة وأنا احلم الحلم ذاته، كل تفاصيل السنوات التي مضت محفورة بذاكرة، ذكريات لعينة، تفاصيل مميتة وجدران عقلي متمسكة بها .

الأرض التي جمعت الكثير من الحضارات والحروب، والكثير الكثير من قصص الحب، الخذلان، والانكسار، أرض الشهداء والطريق الأقرب إلى السماء، أرض الاديان والكتب السماوية التي نزلت من هناك، وعلى أعتاب هذه المدينة العروس المدينة التي جمعت أغنيات من الأرض والسماء، المدينة التي جمعت ترانيم الكنيسة تلك والاذان، المدينة التي جمعت بين جدرانها وحدودها القصة التي نقشت في روعي ذكريات لا تذهب حتى الدوبان الاخير أو ما بعده .

لم أعي يوما أن مولدي في هذه السنوات وفي هذا المكان بتحديد سيلحق بقلبي كل هذه الخسائر، وأن النعمة والنعمة كانت به ومنه، ولم أعي بأن قصة ذلك الزمن ستكون قصتي وسأحيا رغم موتي كل ما قصوها، لم أعي ببشاعة وخذلان الحياة لي، لم أعي بأن روعي ستصعد إلى السماء قبلي وستزوره هناك وسأبقى أنا هنا .

: 1987

أذكر أن هذا العام كان غير عادي لقلبي وروحي التي حل بها الربيع والخريف في العام نفسه، العام الذي أنتفض به قلبي حبا وتيمنت روعي وكلي، العام الوحيد الذي أحلم أن انساه يوما، العام الأحب والأبشع لي، العام

الذي حلقت به بالسماء ودفنت به في الأرض السابعة، العام الذي نعمت بحب رسلان والعام نفسه الذي سرق هذا الحب وسرقني مني أيضا .

الاثنين - 1987 /3/28 :

أذكر هذا اليوم وكأنني ما زلت محبوسة به الآن واعيظه الآن أيضا ، اليوم الذي عصف الحب به إلى قلبي وأنذر بربيع به إلى الأبد، اليوم الذي رأيت به رسلان للمرة الأولى، كان يلبس سترة ليس منها هنا يرتب شعره بطريقة مميزة أحبها جدا، كان لون عينيه مميزا، ذقنه، عروق يديه، طريقة سيره، كل شيء كان مميزا على الأكثر بنظري والأهم أنه بنظري أنا فقط وليس غيري، أذكر أنه كان يقترب مني وكل ما كان يزداد بالقرب تزداد نبضات قلبي ويزداد وضوح ملامحه الاجمل والاحب إلي :

- هل بيت العم حاتم قريب من هنا ؟

لفظ هذه الكلمات وكأنه ينثر ترانيم الحب وسحر يعلقني به إلى الأبد دون أن أعلم، كرر السؤال أكثر من مرة حتى أجبته :

نعم، قريب هل أرافكك إليه ؟

أجابني : نعم .

أذكر إنني كنت أريد أن أتحدث معه يسألني عن اسمي اعرف ما اسمه حتى إنني مشيت بالطريق الأبعد على أمل أن يتحدث وتحدث :

- الحي جميل جدا هنا .

أجبته وأنا ارجف :

نعم جميلا جدا .

بعد دقيقة سألني عن أسماء الاماكن المجاورة وأشياء تخص المنطقة حتى
وصلنا :

هنا البيت .

قال لي : شكرا لك .

وأدرت ظهري حتى لا يرى الأعجاب ينسل من عيني، لكنه نادى بصوت
غير مرتفع :

أيتها الفتاة ... يا فتاة .

نعم؟!!

قال من باب الفضول فقط ، ما اسمك؟!!

يافا .

على اسم هذه المدينة ؟

نعم ، وذهبت مسرعة .

أذكر إنني بعد أن ابتعدت عن المكان أصبحت أرى كل الأشياء بشكل
مختلف كان يتجول في المكان وكأنه ساحر يغير كل شيء بخطوات فقط ،
أصبحت السماء أجمل، الأرض، الطرقات، وأصبح يفوح بالمكان رائحة
عطره الذي ما زلت أحتفظ به في إحدى حجرات عقلي وقلبي، أصبحت
أرى الأشياء وكأنني أراها للمرة الأولى، امشي هنا بمدينة غريبة عني
ولكنها أكثر المناطق التي أعرفها .

كانت يافا القريبة البعيدة الآن أحب المدن إلي فهي تاريخي وهويتي القبلية
الاولى والمنشأ الأول وكل تفاصيلي، أحن اليوم إلى الدفاء الذي كان يلفني

بها، أحن إلى رائحة البحر والحب الذي فاح من قصتي وقصص غيري،
أحن إلى الصباحات المليئة بفيروز والقهوة، إلى صوت أمي المرتبط في
حجرات المدينة، إلى المدرسة الأولى، إلى البيت الذي لا أعرف من يسكنه
الآن والضحكات المحبوسة هناك، أحن إلى يافا الفتاة اليافعة هناك التي
أصبحت هزيلة لاجئة الآن، أحن إلى الحبيب الأول، والمدفون بالقبر هناك،
أحن إلى مدينتي ووطني، إلى الهواء والأرض، إلى تشكل الغيوم في نهار
مدينتي وترتيب النجوم في ليلها، أحن إلى كل شيء إلى أصغر التفاصيل
وأكبر الأشياء .

عشرون سنة دون يافا و دون رسلان أيضا، عشرون سنة وأنا اصارع
الحياة حتى أبقى على قيدها حية أو شبه حية حتى .

كنت أعتقد أن الدعاء في أرضي تلك مختلف عن أي مكان آخر بل وصلت
إلى مرحلة أن أكون متأكدة من ذلك، فالأرض الأقرب إلى السماء هي
الأقرب إلى عرش الجبار أيضا، كنت ادعي أن لا يجعلني يوما لاجئة، أن
لا يحرمني هذا الحب وأن يملأ قلبي برسلان فقط إلى الأبد واستجاب فهو
إلى الآن يسري بي كدمي ويصعب علي أن أنساه حتى ولكنني لاجئة الآن
تتخبط بي الارض ولا تسعني سماء، لم يستجب الله ذلك اليوم وامتحني وأنا
كنت صابرة وأهلا لهذا الامتحان، لكن الآن أدعو فقط أن أتخلص من بقاياها
في داخلي ومن كل مشاعري، أن أتخلص من قصة يذكرني بها كل شيء .

لم يكن أي مكان في هذا العالم يشبه مكاني الأول كل مكان على هذه
الأرض يفتقد إلى شيء لا أعرفه جيدا، شيء غريب قوي المفعول يعلقني
بين السماء والأرض لا يوجد منه بأي بقعة في هذا العالم، شيء دوما
يعيدوني ويربطني به أنها روحية المكان، الروح الذي تشعرني بقدسية

أرضي وأهميتها، شيء غريب جدا أن يكون إلى أي مكان روح خاصة به أو رائحة غريبة لا يوجد ولا يصنع منها بأي أرض أخرى .

مر وقت ليس طويل على اللقاء الأول وما زال تأثيره يطغى على كل شيء وحتى على عقلي ، أفكر به كثير، أفكر بشخص لا أعرفه، لا أعرف سوى ذلك الجمال السماوي وحسب لا اعرف اسمه عمره، من يكون ومن أين؟! لا شيء من هذه التفاصيل .

خلال هذه الفترة كنت أخرج من البيت لأكثر من ألف مرة على أمل أن أراه كنت على وشك أن أصل إلى بيت العم حاتم وأسأله من يكون ولكنني لم أفعل، حتى طرق باب بروحي في صباح ذلك اليوم، كان جميع ساكني هذا الحي مجتمعين عند أم جورج تلك العجوز المسيحية التي كانت تثبت كل مرة على أننا أخوة فعلا، كانت محبة، متسامحة وحتى اليوم وأنا أذكر حنانها علي وضحكتها الجميلة جدا، في ذلك اليوم قامت إحدى العصابات اليهودية بخطف أبناء جورج ووحدها أيضا، وكان الجميع هناك حتى يواسوها، وكان هو هناك أيضا، يشاهد بصمت وكأنه يرى هذه المشاهد للمرة الأولى رغم أنها غير غريبة على الفلسطينيين أينما كانوا وعندها تأكدت أنه ليس من هنا ولا من مكان قريب من هنا حتى .

وبعدها انتشرت أخبار بالحي أن هناك سوري غريب يزور الحي وهو إحدى أقارب العم حاتم الذي يسكن هناك وكان الخبر عن رسلان، وأخيرا عرفت عنه شيء وحتى لو صغير وغير مهم .

لم أكن أتوقع أن سيكون بيننا حديث بعد المرة الأخيرة رغم إنني فكرت به بشكل مفرط ، حتى جاء ذلك اليوم كنت أتجول بالحي وقت غروب الشمس الذي بدأت تزداد حرارتها كثيرا، ففي هذا الوقت اعتدت أن أذهب لزيارة قبر أمي وأبي لزيارة قبريين يجمعان كل الحنان في هذه الأرض وأكثر،

وبعد العودة رأيتَه يمشي من هناك بنفس الخطوات الثقيلة الذي رأيتَه يمشيها المرة الأولى ونفس النبضات التي كانت تختص بقلبي عند مروره أو رؤيته أو حتى عندما يتجول في طرقات عقلي، أقترب أكثر وأنا ثابتة بمكاني أنظر له وكأن كل ما في سكن ما عدا نبضات قلبي اللعين، وبعد ثوان و عدد من نبضات قلبي وصل إلى امامي مباشرة :

- يافا، صدفة جميلة .

قلت : أهلا يا ..

- رسلان، أسمى رسلان .

قلت : رسلان ؟

- نعم رسلان، الأسد أقصد أنه إحدى أسماء الأسد .

وقتها كنت أشعر بتوتر غريب علي وكالعادة ضحكت حتى أخف من هذا التوتر :

قال : ضحكك جميلة جدا يافا .

أذكر وقتها أن توتر بدأ بالازدياد وأن قلبي نشر خلايا جديدة غير الأعجاب، ولم أكن ادري أن كانت هذه خلايا الحب أم شيء آخر

قلت : شكرا رسلان .

- ماذا تفعلين هنا في هذا الوقت ؟

كنت أزور قبر أبي وأمي

- آه رحمهم الله .

في ذلك اللقاء تحدث كثيرا وسأل كثيرا وكنت أنا قليلة الكلام ولكنني شديدة الانتباه لكل ما يقول، أخبرني عنه ولما هو هنا، ومن أين ، أخبرني الكثير من التفاصيل الذي لن أنساها مهما حبيبت كصوته وعطره وكل الأشياء التي تخصه وفي ذلك اللقاء أصر أن يرافقني إلى البيت حتى يرد لي جميل المساعدة الأولى له .

وصلت إلى البيت وذهب بعد أن أكد علي أن أقبل عزيمة غدا ووافقت، أذكر أنني لم أنم طوال تلك الليلة العظيمة لقلبي، أحاول أن أذكر صوته وهو يتحدث ويوصف لي دمشق، كنت أسمع صوته وكأنني سجلته وأعيد سماع التسجيل الآن، أصبحت من تلك الليلة أحب أسمي أكثر وصوت ضحكتي، أحب الشاي والروايات الذي ذكرها دون أن أفكر أن أقرأها حتى، وأحب الورد الجوري الذي يحب، وأصبحت أحب فيروز فوق حبي حبا لأنه يحبها، وفي تلك الليلة أيضا تأكدت أنني بدأت أحبه .

مرت تلك الليلة بسرعة لم أعدها من قبل رغم دعائي أن تمر ليالي غير تلك الليلة بنفس السرعة ، الليلة الأولى لتيتم الأول والتهيتم الثاني، الليلة الأولى لطردني من منزلي الأول وليالي اخرى كثيرة .

في صباح اليوم التالي اختفت كل حبوب وجهي وكان الحب هو الدواء، أصبحت أجمل في ذلك اليوم عكس هذا اليوم، كان صوت فيروز وكالعادة يملأ الطرقات وزوايا وكان الجميع علم أمر أحاديث تلك الليلة .

بدأت أجهز نفسي لأن رسلان سيأتي ليرافقني حتى أشرب معه كوب الشاي الذي أصر أن يرافقه إلى مكان من اختياري أنا لأنه غريب عن المدينة ، كنت محتارة أي الالوان أرثدي كنت أسأل نفسي يا ترى أي لون يحب ؟ الالوان الغامقة أم غيرها ؟ هل أجعل شعري منسدل على كتفي أم أعقده ؟ وهل يحب الكحلة أم لا ؟ كل الاسئلة هذه تدور في عقلي حتى أكون كما

يحب لا كما أنا أحب، أريد أن تقع علي نظرات الحب منه ومنه بتحديد، أن يغازلني، أن يكون معجب بجمالي كما انا غارقة بأدق تفاصيله ولا لي أدنى قدرة وحتى إلى هذا الوقت أن أنتشل نفسي وروحي وأعيدهما إلي .

أصبحت الساعة الحادية عشر ونصف بتوقيت سعادة روعي ونبضات قلبي وعندها دق رسلان الباب كما دق قلبي المرة الأولى :

وصلت على الوقت بالتحديد ؟

قلت : نعم وكأنك تمشي مع عقارب الساعة .

وقتها ضحك ضحكة لطيفة ثم قال : تبدين جميلة اليوم .

كنت أنتظر هذه الجملة كثيرا من الرسلان، وقتها شعرت بالخجل والتوتر والفرح والكثير من المشاعر التي تجعل قلبي يقع بغرامه .

خرجنا من البيت وذهبنا إلى المكان الذي اخترته كان مكان خشبي مليء بالديكورات الكلاسيكية التي كانت تناسب ذلك الزمن ، وصوت فيروز الذي يحب هو وأحب أنا أيضا كانت الاغنية :

بعدك على بالي يا قمر الحلوين

يا سهر بتشرين .. يا ذهب الغالي ...

جلس أمامي وهو يسند وجهه بيديه وينظر لي بعينين يطوف منهما اللمعان فهي دائما حالته عندما يسمع صوت فيروز، سألته : لماذا تحب فيروز كل هذا الحب ؟

قال : فيروز في دمشق مختلفة، أشعر بأن قلبي يصلي على صوت فيروز الذي كان يملئ شوارع دمشق في كل صباح، وأن المكان المليء بصوت

فيروز مليء برائحة الحنين والحنان الذي يضج من صوتها عادة، أذكر أنني أحببت فيروز منذ ثلاث سنوات تقريبا عندما كنت أحد الحاضرين في مسرحية ميس الريم كنت أشاهدها تتحرك على المسرح كنجمة من السماء وصلت هذه الأرض لتصنع المجد ثم تعود مجددا إلى هناك .

ما أكثر أغنية تحبها لفيروز ؟

أحب كل الأغاني بدون تحديد .

أنتهى هذا اللقاء بعد الكثير من الاسئلة، كنت أشعر أن قلبي كثير الاهتمام بأن يعرف أكثر عن رسلان، ويكون دقيق الملاحظة لأصغر تفاصيله وحركاته .

لم أكن أعلم يوما أن كل هذه الاشياء تعيش بداخلي لا أعيشها، كنت ازرع المواقف الأحاديث الضحكات وأصغر الذكريات في روعي وأسقيها بحب رسلان الذي يقويني حتى هذه اللحظة لأعود أن أعيشها الآن .

لم أتوقع يوما أن الكتابة صعبة وأنني سأجرح بداخلي جروح لا تبرأ، وسأنزف حب رسلان، والكثير الكثير من الذكريات والمشاعر والشوق له وليافا ولكنني سأكمل ما بدأت به حتى أنتهي من الكتابة أو ينتهي حب رسلان من داخلي .

بعد اللقاء ذاك مر رسلان علي وأخبرني جملة واحدة لا تغادرني حتى هذه اللحظة ولا أستطيع أن أكتم صوت هذا الكلمات الذي ما زال يتردد في أذني

: (أنا واقع في غرام يافا ويافا) وذهب مسرعا وكأنه خجل مني ومن الورود التي تصطف أمام منزلي ومن الطريق ومن كل شيء .

آه كم أفرحتني تلك الجملة حينها شعرت في خفة لم أعدها من قبل، وأن توازن روحي بدأ يتسرب من داخلي، وقلبي يرجف بطريقة غريبة وكأن هذه الجملة أعلنت زلزال الحب بأرض قلبي، شعرت بأن الورود هناك والغيوم والكون كله يتراقص فرحا، وأن هناك بالجو رائحة لا تشبه أي رائحة أخرى ولا حتى تشبه رائحة رسلان التي اعتدت عليها، وشعرت بسعادة لم أعدها من قبل ولم أكن أعلم بالأصل أن هناك سعادة كهذه السعادة ، وشعرت أنني كسبت نعمة لا يوجد منها، كانت تلك الجملة تكفيني أن أكون سعيدة حتى موتي .

غاب عني بعد هذه الجملة وقت طويل، غاب لخمس أيام وساعتين والكثير الكثير من نبضات الحب بقلبي له، لم أفهم وقتها لماذا كل ما خطر بقلبي قد يكون نادما على هذا الاعتراف ؟ أو هناك سببا آخر منع ابتسامه الحب عن شفتي ؟

حاولت أن أراه كثيرا، أن أمر من أمام البيت الذي يسكنه ولكنه لم يخرج، كنت كل مرة أعود بها إلى البيت ولم أراه أحبه أكثر وأشتاق له أكثر وأحمل خذلان أكبر في .

وبعد ذلك الوقت والكثير من الصبر أرسل لي رسالة ورقية وكانت الرسالة الأولى التي تصلني منه :

(يافا ... للمرة الأولى اكتب رسالة وأخاطب بها انثى أكتب اليوم وأنا لست شاعر ولا كاتب لست غسان لأكتب لك كرسائله لغادة أو محبوب فيروز الذي لطالما كتب لها، لكنك الفتاة الأولى التي أعمت الفوضى بروحي، الفتاة

الأولى التي يرجف قلبي وجسدي أمامها وكأنني طفل صغير، الفتاة التي يجب أن ألامس يديها فأشعر بالحب، الفتاة التي يجب أن تقاسمني كل الأيام والحاضر وحتى الشيخوخة، الفتاة التي أريد أن تكون المستقبل الأولى لي بالمنزل، الفتاة التي يجب أن تبقى معي وأن لا تغادر قلبي، الفتاة الأولى والأخيرة لقلبي ، أحبك يافا ...

(رسلان)

كانت الرسالة تحمل الرائحة نفسها، كانت تشبه رسلان بطريقة لا أفهمها إلى الآن ، كان الخط مرتب وكأنه مكتوب بآلة الكتابة، مغلفة بطريقة مميزة، توقيعه كان مميزاً، أعدت قراءة هذه الرسالة أكثر من مئة مرة، قرأتها لدرجة أنني حفظتها كلها بمكان الفواصل ورسم الحروف وشكل توقيعه .

كان يجب أن أرد على رسلان بطريقة نفسها أن أجعل كل الحروف والكلمات تحبه كما أحبه أنا حاولت أكثر من عشر مرات وبالأخير اكتفيت بأن أكتب جملة واحدة :

(أنا ويافا غارقتان بك، أحبك رسلان

(يافا)

أنهيت الرسالة ورششت عليها من العطر المفضل لي، أرسلتها له مع طفلا صغير وأنا بطريقي حتى أحصد أرضي الوحيدة .

في ذلك الوقت كنت في أوج أرباحي كنت مالكة لبيت، وطن، أرض ، هوية ورسلان وحبه، والآن كلها خسائر خسرت كل شيء ودفعت قلبي وروحي وكل أشيائي ضريبة هذه الخسائر التي لن تعود أبدا .

لم أكن بعد ردي الأخير على رسالته أوقع أن يكتب رسالة أخرى، كنت أريد لقياه أن أسمع كلمة أحبك منه لأول مرة، أن أشعر بلذة هذه الكلمة، وبلذة الحب معه، أن أحمل هذه الكلمة منه في قلبي ولكنه رد علي برسالة أخرى وكانت الاخيرة ايضا .

(يافا، لا أدري لماذا أكتب لك هذه الرسالة، أو ماذا سأكتب لك فيها لكنني أعلم أنني أحبك والسبب الأول لأنني أحبك، أحب ملامحك الجميلة والبراقة كالألماس، أحب رسمة عينيك العسلية، واصطفاف النمش بطريقة غير مرتبة على وجنتيك، أحب شعرك المنسدل على ظهرك كخيوط الذهب، والشامة السمراء تحت أذنك اليمينة، أحب ثوبك المليء بالألوان والتطريز، أحب ضحكك الوردية، وخجلك وتوترك، أحب تفاصيلك، صوتك، طريقة كلامك، أحب كونك فلسطينية بطريقة مجنونة وعفوية وقوية، أحبك يافا .

(رسلان .)

لم أكن أعلم أن له القدرة على كل شيء، له القدرة على أن يحبني في نفسي أن أحب كل عيوبي لأنه يحبها، يمتلك تعويذة غريبة تجعلني كالمسحورة أمامه، مستسلمة لحبه ولا أملك أي وسيلة حتى أفيق من هذا السحر، كانت هذه الرسالة الثانية التي تصلني منه ولكنه وحتى الآن لم يقل لي أحبك وهو واقف أمامي ولم يقلها أبدا .

في ليلة نفسها دخلت العصابات اليهودية وقامت بخطف اربعة شباب من الحي الذي اسكنه، عندما سمعت الخبر شعرت أن قلبي قبض وخفت على أن يكون رسلان منهم، مرت الليلة بالكثير من الخوف فالليالي التي تدخل بها العصابات تزرع الخوف في قلوب كل من يسكن الحي قبل أن يخرجوا من الحي، يحاولون أن يكملوا صورة الوحش التي صورت لهم على أمل أن يغادر من هذا الارض وتكون كلها لهم .

خرجت أول الصباح حتى قبل أن تحتل الشمس سماء النهار خرجت حتى أعرف من أين أتت هذه العصابات، سمعت الكثير من الأقاويل حتى وصلت بيت العم حاتم الذي أصبح يعرف في قصتنا، وسقط أسمه علي كصاعقة في ليلة شتاء، قال لي أنه كان متجه إلى بيتي والعصابات في تلك الليلة كانت قد بدأت بالهجوم مبكرا وكان هو الضحية .

خرجت من بيت العم حاتم وكان عقلي مغيب وكأنني مخطوفة أيضا لا أدري لماذا هو بتحديد ؟ لماذا لم يكتب لقصتي أن تكتمل ؟ لماذا سألني معلقة به وبقصة الحب قد لا تكتمل وكأنني معلقة بين الأرض والسماء ؟ هذه الأسئلة وغيرها كانت تحتل عقلي طوال الطريق الذي شعرت أنه موحش ومظلم دونه رغم النهار الذي يلف المكان كأنه ضوء ونهار، كانت الورود ذابلة، والسماء حزينة والأرض ضيقة جدا علي .

وصلت إلى البيت وكل ما في يمي فالمعروف أن العصابات اليهودية إذا خطفت أحدا لا يعود وإذا عاد يعود ميت شهيد هذه الأرض وعريستها .

مر الوقت بطيء جدا وأنا أنتظر رسلان يعود، أن يطرق الباب كما طرقه في تلك المرة أن يخبرني أنا أحبك أريد أن اسمعها منه أن تطيب كل جروح السنوات التي مضت بهذه الكلمة، أن أكون زوجته وأسمي أبنتي فيروز، أبنتي التي ستكون منه، طوال الفترة هذه وأنا ابني أحلامي حتى هو يحققها لي عند عودته فهو الجزء الأكبر والأهم من أحلامي .

بعد مرور خمسة عشر يوما طرق الباب بقوة حتى استيقظ كل ما في، وصلت إلى الباب مسرعة على أمل أن يكون رسلان فتحت الباب ورأيت شيء لا أريد أن أراه ولم أرسمه يوما في عقلي، كان رسلان ملقى على الأرض وغارق في الدماء ومشوه ومقتولا أيضا، لم أتمالك نفسي في تلك اللحظة شعرت بأن الكون كله أصبح كبيرا جدا وأنا نقطة سوداء صغيرة

جدا لا حولاً لها ولا قوة، شعرت بأن قلبي توقف وأن نفسي بدأ يضيق جدا وكان الهواء هرب من منطقتي، جلست على الأرض عند رأس رسلان المليء بدماء بكيت عنده كل شيء بكيت كثيرا وكأنني أرملة الحب والقصة التي لم تكتمل بكيت على احلامي التي قتلت والحب الذي يكتمل كما يجب ومشاعري التي دفنت مع رسلان في القبر نفسه .

مع انقضاء كل يوم دون طمأنينة وجود رسلان بجانب قلبي اشعر بأن روحي متشتتة كأشلاء جثة نال الحرب منها، وأن قلبي لا يدق بعدد الدقات الطبيعي له، وأن الهواء لا يدخل بالكمية المناسبة إلى صدري، وأن كل أيامي تتشابه دون ضحكته، وأشعر بانكسار الحروف، وأن الشمس تحرق روحي وأن الأرض تسحبني إلى الأسفل، وأن الكون أزداد بطئاً، وأن الفصول الأربعة تمثلت في فصل واحد ... فصل فقدانك، وأن وجهي يتناقص ويشحب يوم بعد يوم دون ابتسامة وجودك بجانبني ... آه على فراق رسلان الذي يأكلني ... آه .

بعد هذه الحادثة لم يعود أي شيء في حياتي على ما يرام أكثر ما افعله أن أبكي وأنا أعيد قراءة الرسائل تارة وأشمها تارة أخرى، حتى نال العدو مني على الوجه الأخير وطرده كل من في الحي منه طردني من مكان الطفولة والحب الأول من الأماكن التي ما زالت تجمع رائحته، من الأماكن التي ما زالت متمسكة بأثر كل من ماتوا، وانتزع آخر جزء من قلبي عندما غادرت ذلك المكان الذي لم يغادرني حتى الآن، قاومت حتى أبقى فيه، أن ابقى في المكان الذي ولدت وأحببت ومات كل ما في فيه، لكن كل المقاومات باتت فاشلة وأصبحت يتيمة وأرملة ولاجئة في الوقت نفسه، ولا أملك سوى ثوب أمي وصورة أبي ومفتاح البيت ورسائل رسلان وكل الذكريات .

: 2008/5/5

اليوم مر عشرون عاما على آخر مرة لي في الحي واليوم نفسه الذي
تجرات وللمرة الأولى أن أكتب عن رسلان كنت دائما خائفة من أن أصارع
رواية جديدة بالخذلان كله والشيء الذي يختلف أن رسلان الآن بطل
روايتي وصاحب الإهداء وبقايا روعي التي شبه تحيا دونه .

كتبنا وما كتبنا !

أكره الشتاء، فيروز، الأغنيات التي تنادي بالحب، أكره الفلسفة والثرثرة، أكره الرسائل الورقية وصوت الأوراق، ورائحة الأوراق، وكل الأقلام التي خطت على الرسائل من بداية المعمورة حتى نبضات قلبي الأخيرة، أكره التفاصيل وتدقيق الزائد للأمور، أكره مقهى الجامعة، والأصدقاء المشتركين، وأكره كل الأشياء التي تذكرني بطيف إلا طيف .

بين جدران الجامعة التي أكرهها اليوم الجامعة التي أندب حظي وكل الطرق التي أوصلتني لها، كان طيف ذلك الشاب المغرور والمتواضع، الجميل والبشع، اللطيف واللئيم، الشاب الذي أحببته وكرهته للحظات معدودة فقط، نفس التخصص ونفس أوقات المحاضرات ونفس الأصدقاء، وفي الوقت نفسه هاج الحب في قلوبنا كالأموج في البحر وقت الأمطار والرياح .

كان الشتاء الوقت المناسب للحب، وكنت أشعر أن فيروز كانت تكمل الحالة، كان الوقت المناسب للقهوة الدافئة والاحاديث وصنع الكثير من الذكريات، والوقت الأنسب لتبادل الرسائل التي كانت متواصلة للمدة طويلة حتى أنهى الأمر برسالة وكان الفراق .

الرسالة التي خطت الحب بقلبي للمرة الأولى كانت غريبة بكل شيء كانت وما زالت تشعرني بالحب، الحب نفسه الذي نبض في وقت هذه الرسالة، وبكل مرة يقع نظري عليها أو ألمسها أشعر بأن الحب ينتشر في وكأن حروفها إحدى أنواع السحر العظيم، سحر لا يفك و ينتهي أبدا !

(نفس ... للمرة الأولى اكتب رسالة، وللمرة الأولى أشعر بفوضى قلبي لا تشبه أي شيء مر علي من قبل، لم أتجرأ يوماً بأن أبوح بكل ما يخطر في

قلبي وروحي رغم الجراءة التي أنا بها على المسرح وبين الجميع ولكن معك
تختلف الأشياء كما تختلف أصغر الأشياء في معهد أحلامي بوجودك أنت،
أشعر أنني أريد أن أكتب كل ما أشعر به وكل ما أريد أن تعلميه لكن الآن
وفي هذه الرسالة بالتحديد أحبك نفس ... أحب شعرك المجعد، جمالك
الشرقي وكل شاماتك وحبوبك، أحب مشيتك على المسرح صوت ضحكك
وحضورك، أحب فلسفتك، ووشمك اليتيم بين أصابعك أحب كونك نفس بكل
تجرد وشفافية واختلاف !

طيف ...

(22/ كانون الثاني .)

أذكر إنني في تلك الليلة لم أنم طوال الليل أعيد قراءة كلماته التي كانت تشع
الحب لقلبي، كانت الرسالة الأولى التي تصلني من طيف الرسالة التي
أحبته بها و أحببت حبه لي، كانت تحمل توقيع متبوع بثلاث نقط كنت لا
أعرف معناها في ذلك الوقت، كان خطه مرتب عكس خطي، وكانت رائحة
الرسالة غريبة لا أدري إلى الآن إن كانت هذه رائحة الحب أو أن للحب
رائحة بالأصل ؟

بعدها أصبح طيف هو القدر الذي كنت أنتظره طوال الوقت أو كنت أعتقد
ذلك، لم يكن بنظري حبيبا فقط كنت أراه بعين الأم والعاشقة والصديقة، أراه
كما لم أرى أحدا من قبل ولم أنظر إلى أحدا من بعده هذه النظرات ولن
أفعل أبدا فهي خاصة به وحده كما صوتي معه وروحي فكلي اختلف لأنه
طيفي !

(نفس ... الفتاة التي ولدت بعدي بستين يوماً، المشاغبة اللطيفة والحببية الأولى، الفتاة التي تشبه المطر والغيوم، الفتاة التي علقتني بشباكها، اليوم هو يوم مولدك قد اتممت العشرين عاماً و سنتين بقلبي، عاماً جديداً لك يا عمري الجميل والمحتالة اللطيفة، عاماً جديداً لنجمة قلبي الأولى، عاماً جديداً أحبك به أكثر يا محتالة ...

طيف ...

(8 / آذار .)

كان طيف الوحيد الذي ينعني بالمحتالة الوصف الذي أحب، الذي كان يخطف قلبي ويطيرني بالسماء، وعندما سألته ذات مرة لما محتالة قال : (الفتاة الوحيدة التي احتالت على قلبي وسيرته تحت امرها)، كنت دوماً مميزة مع طيف كل الأشياء الخاصة بي مقدسة بروحه في محراب قلبه ولا يجرأ أي شيء أن يقترب منها .

كنت دائماً أشعر أن طيف هو الرجل المناسب لي، الشخص الوحيد المستعدة أن أتجرد من كل القوة المزيفة، الكبرياء والمشاعر الكاذبة، الشخص الذي يناسب قلبي ويكفيه والشخص الوحيد الذي أعاد الحلم لقلبي، أذكر أن كل الرسائل التي كتبتها له كانت تحمل المحتوى نفسه رسالة مكررة أرسلها كرد على كل الرسائل الذي يرسلها .

(رجل أحلامي، القلب الآخر لي، نصفي الثاني، رفيق قلبي وروحي وكل أيامي، أحبك أنت فقط يا طيفي، ونجم قلبي الأول والأوحد ...

(نفس .)

كنت أعتقد أن هذه الكلمات لا تكفي بل متأكدة أنها لا تكفي وكيف للغة تحوي 28 حرف فقط أن تصفه ؟ فأنا دائما أجزم أن كل اللغات والكلمات والأحرف كل شيء قاصر وعاقر على أن يصف طيفي، لكن مع كل مرة أرسل بها هذه الرسالة كنت أرسل له جزء من روعي معها، عدد من نبضات قلبي، لمعة عيني، صوت فيروز الذي كان يجعلني خفيفة وكأني ريشة في السماء، وكل الحب الذي يسري في، كانت هذه الرسالة بنسبة لي مميزة لأنها كتبت لطيف وطيف فقط هو من سيقراً كل الحب الذي تلد به كلماتي.

لطالما كان طيف الشخص الوحيد الذي أحب ان يخاطبني ويحدثني أن يكتب لي ويكتبني وأن أقرأني وحبه من بين كلماته وكأنه القدر كله، الحياة كلها، النعم كلها، الحظ كله، والذكريات كلها و فقط الذكريات .

لا أدري لما يجب علينا أن نتذكر أو نستذكر ؟ لماذا يجب أن تكون كل الشخصيات والأماكن وبعض الأحاديث عالقة في جدران صندوق العقل اللعين؟! لماذا أغنية واحدة صوت الأوراق أو المطر يذكرني بطيف؟! لماذا صوت فيروز يرجع لي طيف الذي ذهب؟! ولماذا أغنيات فيروز تخمل كل الماضي إلى قلبي؟! لماذا الماضي ذكريات والحاضر الذي أصارعه الآن سيتحول إلى ذكريات وحتى المستقبل المجهول سيتحول إلى ذكريات أيضا ؟ ماذا لو كان الإنسان لا يبني مبنى ذكريات في عقله ينسى كل شيء ولا يتذكر ولا شيء من تفاصيل ماضي لعين ماض كان جهنم الأرض وغيوم تغطي سماء القلب، وأن لا تكون فيروز تحمل كل هذا الحنين إلى نفس القديمة وإلى طيفي .

(نفس عزيزتي أشتاق لك جدا مر يومين على آخر مرة رأيتك بها، أي يومين دون صوتك، دون وجودك الذي كان يملئ علي الأرض ويغنيني عن الجميع، لا أدري أن ذهبت تلك الحبة اللعينة التي أحتلت أسفل عينك اليمنى، ولا أدري نهاية القصة التي بدأت أن ترويها لي فانا كثير الحماس لأعرف تكملة هذه القصة وأكثر شوقا لك يا محتالة، ولا أعلم المشهد المسرحي الذي قررت أن تقدميه كمشروع لسنة الثالثة كنت قد وعدتني أن تخبريني به ولا تنس أنني البطل بجانبك في هذا المشهد وإلى الأبد .
أكتب لي أنتظرك !

طيف ...

(21 / أيار)

لم يكن المسرح أحد أحلامي الكبيرة بل كان حلمي الوحيد، أن أصنع شخصيات من روعي وأعيش بها ما لم أعيشه على مسرح الحياة، أن أرى الستائر تأخذ جنبا حتى ألمع أنا بالمنتصف، وأن أسمع صدى صوتي في المسرح بصمت وإنصات كل الحاضرين، أن أتقل به كفراشة تطير في سماء أحلامها، أن أسمع صوت الضحكات أو الدموع على أحد مشاهدي وأن أحرر روعي المحبوسة داخلي !

كان المشهد الأهم في مجرى حياتي كلها في إحدى مسرحيات سنة الأولى في المعهد، كانت الساعة على مشارف الثامنة ليلا، الربيع والهدوء يعم جميع أرجاء المسرح وحتى الكواليس، أنا وطيف وبعض الديكور المسرحي، كل النظرات معلقة بطيف وتراقبه والحوار الأهم في المسرحية وللمرة الأولى وقبل أمر تلك الرسالة قال طيف : أحبك .

لم أفهم حينها إن كان صوت الشخصية أو صوت طيف، ولم أفهم لما أرتجف قلبي حينها وكأنه نطق أحد التعويذات وليس أحد الكلمات في أحد المشاهد، ولكنني فهمت الآن إن تلك الرجفة كانت رجفة الحب والأمر لم يكن متعلق في شخصيات مسرحية خيالية وحسب .

بعد تلك الرسالة كانت العطلة قد بدأت وكانت المرة الأولى التي أشعر بها بالشوق لطيف، للمرة الأولى أشعر بأن الشوق فعلا موجود في خلايا قلبي، يومين دون طيف دون أن أتحسس الملامح التي أحب فأشعر بروحي وهي تزهر، أصبحت أيامي ناقصة كثيرا دونه، ساعات تعم العزاء بقلبي دون فرح وجوده بجانبني أعلم بأنه قريب مني يلف حولي ولكن لمستته لي كانت تخلق بقلبي شعورا يختلف عن أي شعورا آخر .

(نجم قلبي الأول، صديق روحي والجزء الأجل بقلبي، أعرف أنك تشتاق لي فأنا أشعر بك عندما تشتاق لي مثلما أشعر بحبك لي، وأنا اشتاق لك شوق فاض من جميع خلايا قلبي وسار بي مثل سريانك وحبك بي، دونك تتبعثر أوراق أيامي وتصبح مجرد ساعات تمضي بصعوبة على قلبي، أخبرك أن تلك الحبة قد ذهبت عن وجهي، وأن نهاية القصة ستبقى مربوطة حتى لقاء عيني بعينيك مرة أخرى، أما عن المشهد فأنت بطله وبطل قلبي وكل كلي .

. نفس

. (24 / أيار)

كل الرسائل كانت لا تكفي قلبي دونه فوجوده كان مختلف ، لقاءاتنا كانت أجمل من كل الكلام وحتى لو كانت صامتة .

(اه من كلامك الذي يحمل لقلبي الحب ويفاقم الشوق لك .

طيف ...

(25 / حزيران)

مر الوقت أبطأ من البطء نفسه مع عدد كبيراً جداً من الرسائل، رسائل تحمل يوميات طيف، وأخرى تعبر عن الشوق الكبير له، رسائل تحمل أدق التفاصيل وأصغرها لحياتنا .

بدأ الفصل الجديد وسأذهب إلى رؤيته من جديد بدأت أجهز إلى الجامعة قبل ثلاث ساعات كنت مشتاقة له جداً وكان كل الشوق الذي تحمله هذه المعمورة كان بقلبي وكله لطيف، ملامح طيف غمازتيه، لون السماء في عينيه، لحيته، صوته الذي يضج بالخشونة والحنية والحب، عروق رقبتة، لمستته، كنت مشتاقة إلى الحالة والشعور الذي كنت أشعره وأنا معه وبجانبه.

إلى اليوم ومنذ سنتين تقريبا وأنا أذكر ذلك الشوق له وأذكر كيف كان اللقاء، كان يقف على باب الجامعة كانت ملامحه ما زالت مثل ما كانت عليه ولكن قد تكون قصت شعره اختلفت بعض الشيء لكن لا يهم، عندما انتبه إلى وصولي أصبح ينظر إلي دون أن يرمش حتى، كانت عينها تلمعان وينظران إلي وكأنني أؤمن الأشياء التي يراها، كان قلبي في تلك

اللحظة يدق بشكل قوي وكأنه يدق للمرة الأولى، وأحيا للمرة الأولى، وأرى طيف للمرة الأولى، وأذكر أول ما ألقى في أذني من كلمات بنبرة اعتاد قلبي عليها قال لي : (اه كم أصبحت اجمل يا نفسي أشعر إنك كفيروز تماما فصوتها يزداد جمالا مع كل مرة أسمعه وكأنني أسمعه للمرة الأولى وأنت كذلك)، لم أفهم لما فيروز بتحديد، دوما وبكل أحاديثنا وكأنها طرف ثالث بهذه العلاقة .

كان طيف دائما يفتخر بحبه لي وإنني ملكة قلبه الوحيدة، أينما ذهبنا وبكل الأماكن المشتركة أسماء عائلتنا واحدة فأنا الأميرة التي سوف يتزوجني كما كان يقول لي .

(عاد الشتاء يا نفس الفصل الذي أحببتك به، الفصل الذي كانت كل ذكرياتنا معا مرتبطة به، القبله الأولى ، الرسالة الأولى كل شيء وكأنه رابط ثاني بيننا بعد حبنا، أشعر أنك تشبهين المطر كثيرا ناعمة، رقيقة، لطيفة، نعمة، هادئة وجميلة بمناسبة الذكرى الثالثة لحبنا أحبك وأحب كل ما تحبين وما يقع اهتمام قلبك عليه .

طيف ...

(27/ كانون الأول)

كانت هذه الرسالة القبل الأخيرة، الرسالة التي شبهتني بها بأكثر ما كنت أحب وأكثر ما أصبحت أكره الآن، أكره المطر ومحبيه، وكل النباتات التي

تحتاج للمطر، أكره الغيوم، والرعد، والبرق، وشهور المطر، وحتى عيد الميلاد .

المرّة الأولى التي كتبت بها رسالة كانت لطيف لصاحب قلبي، كنت أكتب لأنه طيف حبيبي الأول، قدرتي الذي أنتهى قبل أن يبدأ حتى، وكل روي التي تساقطت أشلاء شهيدة الرسالة الأخيرة، الرسالة التي بترت أطرافي وجعلتني مشلولة لا حول لي ولا أدنى قوة .

(نفس ... بعد كل الأحرف والكلمات التي خطت بها روي لك بعد كل الرسائل والصور والذكريات، كنت الفتاة الوحيدة على مقاس قلبي والاختيار الصحيح والأهم في خريف عمري كله، نفس وأنا أتردد في لفظ هذه الجملة ... الجملة التي يرجف قاع قلبي وتتشت روي وأنا أفكر فقط كيف سأكتبها وكيف سيكون وقعها عليك، لكن الآن حان الوقت لأن تكون هذه آخر رسالة مني آخر رسالة أحملك بها، فأنا لن يحملني قلبي على مخالفة دين قلبي الأول دين محمد ولن أجعلك الفتاة العاقبة التي قاطعتها أمها من أجلي فروحي لن تحتل أن تراك وأنت تذوبي أمامها، لكنك سوف تبقيين نجمة قلبي الأولى النجمة التي تضيء سماء قلبي السماء التي بغيابك سيعم الظلام بها لآخر العمر وسيحل الخريف بها دون لمستك التي تنعشها، لا أدري الآن إن انتهت حياتي كلها يا نفسي يا بطة مشاهد قلبي والفتاة التي أحببت والمحتالة الوحيدة التي أندبت عمري كله .

طيف ...

(27/ كانون الثاني)

كان طيف ندبة بالروح لا تشفى وسيرافقتي أثرها حتى الذوبان الأخير،
كنت في تلك اللحظات أشعر أن قلبي سيتوقف عن النبض وأن الكون كله
توقف عن الدوران، وعقارب الساعة لا تريد أن تغادر هذه الثواني، وأن
عقلي فقد توازنه، شعرت بأن روحي تتناقص داخلي، وأن ملامحي
أصبحت شاحبة وتبدلت أصبحت لا تشبهني، لا تشبه نفس التي كانت،
وحتى الهواء كان يدخل بصعوبة إلى رئتي، كانت كلمات تلك الرسالة
تعصر قلبي وتذيني .

أذكر بعد تلك الرسالة كتبت لطيف عدة رسائل ولكن الرد لم يصل إلى قلبي
ولا حتى بظرف فارغ، كنت أنتظر الرسالة حتى أنتصر أمام الجميع وأمام
قلبي لا أريد أن يكون الخائن أمام عقلي ولم أرسم له يوماً هذه الصورة،
كنت أريد أن أنتصر به وأقوى به وأعيش به، لم أكن أريد نهاية كهذه .

لا أعلم لما أكتب هذه الرسالة الطويلة يا طيف يا هم عمري، لا أعلم إن
كنت سأرسلها لك ولا أعلم لما طيفك يرافق روحي مع الشتاء، مع صوت
فيروز، أه على صوت فيروز الذي يأتي بك ورائحتك وروحك وصدى
صوتك إلي، لا أعلم إن كان لي بداية بعد هذه الرسالة أم كل شيء قد أنتهى
هنا، ولا أعلم متى سأشفى من حبك وندبتك في روحي !

" رجعوا طيور الصفصافة .. وما رجعوا حبايينا ... كتبنا وما كتبنا ويا
خسارة ما كتبنا ... كتبنا مية مكتوب ولهلق ما جاوبنا "

فيروز / كتبنا وما كتبنا .

أنا لحيبي وحيبي إلي !

أنا لحبيبي و حبيبي إلي ... يا عصفورة بيضا لا بقى تسالي ..

كالعادة في هذا الوقت كانت فيروز تفرع باب قلبي بصوتها، لطالما كان صوت فيروز يأخذني إلى قصص جديدة تشعرني أن كل أغانيها حكاية قائمة، تشعرني بالحب والشوق، الالهفة والحنين، آه كم يحملني صوتها إلى إحدى الصباحات الباردة في بيت قلبي الأول الذي كان دوما يلفنا بالدفء رغم أن الشتاء قارص لكن العائلة كانت تفي بالعرض وتدفء روعي، تحملني إلى أول نجاح عندما رافقت موسيقاها حفل إطلاق روايتي الأولى الرواية التي ضجت في البلاد أكثر من كاتبها، فدوما اغنيات فيروز ناجحة كثيرا للحب والفرق، لصباح والمساء، للعب والحزن .

أذكر أنني ككاتبة كنت أقصد المقاهي والمكتبات الصاخبة بالهدوء بشكل مفرط ولم أكن أعي يوما أن إحدى أهم وأنجح القصص سوف تبدأ بين جدران أحد هذه المقاهي .

كنت على وشك إنهاء روايتي الأولى كل شيء مثالي وجميل بها كما أراه أنا، لكن الإهداء كان صعب جدا، يا ترى لمن كتبت هذه الكلمات ؟ لمن سأهدي حلمي الأول ؟ وفي الوقت ذاته دخل محمد إلى المقهى وجلس بهدوء كان يحمل رواية لا أذكر عنوانها، يرتدي معطف بني، قبعة سوداء، أكثر ما شدني حينها كيف كان ذو قوام مشدود مبتل بالمطر كأنه خارج من أحد افلام الأساطير أو أحد أبطال روايات التي كانت تحيطني من كل اتجاه في مراهقتي، كنت أنظر عليه وكأن قلبي يقول أن قصة جديدة بدأت بدخول محمد ولكنني لم أهتم في ذلك الوقت وأكملت محاولاتي الفاشلة في كتابة الإهداء .

مر شهرين والكثير الكثير من المحاولة لكتابة إهداء لرواية وخلال هذا الوقت كان محمد يقصد المقهى يوميا ويجلس على الطاولة نفسها وبالهدوء نفسه .

في إحدى الأيام خرجت من عملي متأخرة ووصلت إلى المقهى لكنه كان مكتظ ولا يوجد ولا حتى مكان واحد فارغ، وكان مكاني المفضل يجلس به محمد لا أدري أن كانت صدفة أو أنه القدر أو أنها رسالة، ذهبت ووقفت بالقرب من الطاولة وقلت له : هل يمكنني الجلوس ؟

قال لي بصوت لا يمكنني أن أنساه مهما حبيبت : نعم ، تفضلي .

- سلافة ، أسمى سلافة .

- أهلا سلافة ، وأنا محمد .

جلس وانغمر في كتابه وأنا ضائعة في افكاري وبريق عيني الذي غافلني وظهر وبين أوراقي أيضا، وبعد ساعة واحدة هممت بالخروج قال لي :

- أريد أن أسأل ما معنى أسمك ... سلافة !؟

قلت : أمم سلافة تعني البدايات الجميلة والمميزة وعندما يطلق على الفتاة يقصد به إنها الأفضل أي خالصة من أي عيب .

لم أكن أعلم أن معنى أسمى يوافق هذه الحالة فأنا الآن في سلافة، في بداية أهم قصة في عمري كله .

أذكر أنه لم يفارق عقلي منذ تلك اللحظة أفكر به كثيرا ولوقت طويل كنت أشعر بدقات تتسارع بقلبي عندما حتى أتذكر كيف لفظ أسمى للمرة الأولى، أحببت أسمى وشعرت أنه مميزا وفريد عندما نطقت شفاه محمد به .

وبعد هذا اللقاء أصبحنا نتشارك الطاولة نفسها ونتبادل أطراف الحديث حتى انني نسيت أمر الرواية والإهداء، أخبرني عن حلمه بأن يصبح مغني ولكن الحظ نال منه ولم يحالفه، أخبرني عن طفولته التي لم يعشها لصعوبة الظروف، أخبرني عن عمله كمهندس أخبرني كل ما يجب أن أعرفه في حدود العلاقة التي كانت تجمعنا في تلك الفترة، لكن أكثر ما أثار الفضول في خلايا جسدي إنه يغني، عندها قلت له دون تردد وكأن شيء بداخلي نطق وليس أنا : فلتغن لي، أريد أن أسمع .

- هنا؟! -

قلت : سنغادر الآن إلى أي مكان تحب المهم أن تغني لي .

غادرنا المقهى وجلسنا في حديقة تخلو من الجميع، كان يوم الاثنين، الخريف ساعة الخامسة وسبع دقائق، يرتدي هو معطف خمري وفي يده ساعة سوداء يضع عطرا فواح وكأنه خارج من إحدى درجات الجنة :

- إذن ماذا تحبين أن تسمعي ؟

قلت : أي شيء .

- فيروز ؟

قلت : نعم .

- بتذكرك كل ما تيجي لتغيم ... وجهك بيذكر بالخريف ... بترجع لي كل ما الدني بدها تعتم مثل الهوا اللي مبلش على الخفيف ...

عندما غنى انصاعت الغيوم لأوامره واحتلت كل أجزاء السماء، ازداد الورق الأصفر بمغادرة الأشجار، وازدادت قوة الهواء، كل الكون حولي تغير حتى أنا فكواكب قلبي أضاءت، حل خريف خفيف ظريف وكأنه ربيع

داخلي، أصبت روعي خفيفة، لمعة عيني ببريق الحب، قلب داخلي رأسا
على عقب وكأنه ساحر ينثر السحر بصوته يحرك الأشياء الكون والمشاعر
بصوته، آه على صوته آه .

انتهى محمد من الغناء لم أكن أريد الأغنية أن تنتهي أريد أن أسمع أكثر أن
يرتب كل ما أعم من فوضى في :

قلت : مقطع من أغنية أخرى ممكن !؟

- أنا لحبيبي وحبيبي إلي ... يا عصفورة بيضا لا أبقى تسألي ... لا يعتب
حدا ولا يزعل حدا ... أنا لحبيبي و حبيبي إلي .

هنا علمت إنني غرقت ولن أنجو أبدا .

قابلت محمد بعدها كثيرا و غنى لي كثيرا أيضا حتى تأكدت أن ما بقلبي حب
لمحمد وإنني عالقة به وبصوته .

لم أكن أعلم أن الحب هكذا صعب الحب الذي كان يملئ صفحات روايتي
كان مختلف عن ما أشعر الآن ، عندما أرى محمد أشعر بأن روعي
تتراقص داخلي على أنغام ضحكته الأسرة، وأن النظر لعينيهِ العسلية
يربكني رغم أنني معتادة على النظر إليها ولكن كل مرة أنظر لها وكأنها
المرّة الأولى، فيه تفاصيل كثيرة تحتاج إلى وقت أطول من الحياة كلها حتى
أنتهي من ملاحظتها، كنت أحبينا معا أحب تلك الحالة والشعور ورغم كل
هذا لم أجراً على أن أعترف فكاتبه مثلي كانت أضعف بكثير من أن تواجه
الخدلان .

كان الوقت يمر بيننا بشكل قصير وكأن كل الساعات الطوال تتحول إلى ثواني ومع كل هذا الوقت كان هناك الكثير من اللحظات المناسبة بأن تكون من أجمل الذكريات، ذكريات لا تنسى ولا تموت متجذرة بقلبي لا تقتلع أبدا.

أذكر عندما لمس يدي للمرة الأولى أذكر تماما كيف قلبي انتفض وزادت خلايا الحب به، وجسمي كله ثبت في مكانه وأصبح بالهواء رائحة جميلة تفوح في كل الأرجاء وشعرت بقلبي وهو يفرح ويضحك وكيف ولدت نجوم جديدة فيه، شعرت نفس المشاعر تلك عندما غنى لي للمرة الأولى ومن يومها أصبح هذا المقهى المفضل لي .

وبعد مرور أربعة أشهر والكثير الكثير من الأغنيات والمطر والحب، أستجمع قلبي كل خلاياه وقررت أن أخبره أنني أحبه وإنني غارقة في أعرق نقطة فيه، لم أنم طوال تلك الليلة كيف سأخبره؟! ماذا سأخبره؟! وماذا سيجيبني هو؟! كانت تلك الليلة ليلة عصبية لا تنتهي من الأسئلة ومن حبه .

خرجت شمس الحب الشمس التي شهدت على كل الذكريات وستشهد اليوم على الكلمة الأهم أحبك، كنت أنتظر عقارب الساعة أن تتحرك حتى تصل إلى وقت لقائنا فقد اتفقنا اليوم نلتقي حتى يقول لي رأيه بروايتي التي لم أجد حتى اليوم أي طريقة لكتابة الإهداء !

وصلت إلى المقهى وكان محمد بانتظاري هناك، أذكر أن محمد هو من بدأ كان يتحدث عن رأيه بروايتي بحماس وعيناه تشعان بالحب :

- سلافة أنت كاتبة رائعة جدا أ الرواية أسعدت قلبي وأحزنته، خلقت لي كوكب خاص لم تكن رواية وحسب أنا فعلا محظوظ إنني التقيت بك ... ثم قال : سلافة ... أنا أحبك !

لن أنسى هذا اليوم طوال هذا العمر ولو سأعيش عمرا آخر سأنتظر هذه الكلمات منه من محمد، قال لي أحبك في الوقت الذي كنت بأشد الحاجة إلى أحد يعوضني عن كل الخيبات، ليعوضني عن أمي وأبي، عن أخي الذي خان كل شيء وحتى الدم، ليعوضني عن كل الحزن الذي كان يحيط عمري الذي مضى دونه، ليمسح بهذه الكلمة كل الأجزاء البشعة و المؤلمة من عقلي و قلبي و يغنيني عن الجميع .

كان محمد معي و قبل حتى هذا الاعتراف محب وحنون كأنه يشعر بحاجتي إلى الحنان الذي لم يشعرني به أحد من قبل، فأمي كانت صورها تشع بالحنان ملامحها الملائكية لا تنسى ولكنها فراقته هذه الحياة قبل أن أخذ منها كل شيء، وأبي كان الحنون على أبناء زوجته لا على ابنته التي منه، وأخي الشقيق كان خليفة أبي بالجفاء وخان كل وعود الطفولة بأن يكون هو السند و به كان الانكسار، وكبرت وأنا أحن وأحزن وأعطف على نفسي حتى أتى محمد لقلبي وملاً كل هذه الفراغات .

بعد هذه الكلمة تغيرت حياتي كلها أصبحت أنظر إلى العالم بطريقة مختلفة وكأن الحب يغير الأشياء الروح وكل العالم من حولي، وأصبحت أحب يوم الأثنين اليوم الأهم في مجرى حياتي وقصة عمري، يوم الأثنين دخل محمد أول مرة إلى المقهى، يوم الأثنين جلست مع محمد على الطاولة نفسها لأول مرة، ويوم الأثنين كان يوم الاعتراف الأهم بحياتي عندما قال لي : أحبك سلافة .

وهنا كان وقت مناسب جدا لكتابة الإهداء ومن المحاولة الأولى جهز لم يكن يحتاج إلى وقت أكثر وكان الحب أضاف لي مفردات جديدة، عوالم جديدة وإبداع أكثر وكان الحب كان حل لكل مشاكلني !

كتبت الإهداء على ورقة منفصلة من الرواية ووضعت في ظرف ملون ووضعت له القليل من العطر وحملته معي، وصلت إلى المقهى وكان محمد هناك مشغولاً بفوضى الأوراق المترامية امامه كأشلاء انفجار إحدى الافكار :

قلت : أحمل لك رسالة وأريد أن تقرأها لي بصوتك .

- رسالة من من من !؟

قلت : أفتح الظرف وأقرأ ستعرف من أول كلمة .

فتح الظرف وقرأ الإهداء أول مرة بصوت لا يسمع ثم نظر إلي وضحك، قرأه مرة ثانية بصوت منخفض ونظر إلي بعينين لامعتين وقال حقا !؟

قلت : نعم، أقرأه بصوت مرتفع أريد أن أسمعه منك .

قرأه بصوت جهوري يلامس شغاف القلب ويدغدغه، بصوت لا ينسى ككل كلماته التي تستقر بقلبي :

إلى الشخص الذي قال لي أحبك للمرة الأولى إلى من غنى لي وحدي لأول مرة، إلى الروح التي تكسو روعي وترويها، إلى رجل حياتي الأول، إلى محمد ... محمدي أنا وحدي فقط .

بعد أن أنتهى من قراءة الإهداء قال لي : سلافة أنا حقا أحبك، أحب وجودك بجانبني أشعر بأن الله أستجاب لي بك أنت، عوضني عن كل شيء بإحضارك هنا بحياتي فهو الرحمن الرحيم ورحمني بك يا سلافة .

أنهيت الرواية و جهزت نفسي لأول حفلة توقيع وكان محمد يرافقني دائما هو من أختار القاعة والمكان والساعة إلا اليوم فأنا من أختارته ولم أقبل أن

يكون إلا يوم الأثنين وعندما سألني محمد لماذا الاثنين بالتحديد وأخبرته قال لي : إلى هذا الحد مدققة في التفاصيل ؟

قلت له : لأنني أحبك .

وهو من أختار لي أيضا الفستان الذي سأرتديه وعندما جربته للمرة الأولى قال لي : لا نريد هذا فلتجربي غيره .

قلت : لماذا؟!!

قال : جمالك هنا طاغي أكثر وأنا لا أحتمل أن أرى كل هذه الأنوثة الطاغية دون أي ردة فعل ثم أن قلبي يضيق أكثر وأنا أرى هذا الفستان يضيق على خصرك.

وبعد محاولات كثيرة لإقناع محمد وافق على مضمض .

بدأت الحفلة وكان الوجود أكثر بكثير من المتوقع ولم أكن أعلم أن هناك مفاجئة أخرى تطرق أبواب هذا اليوم، كانت الموسيقى الأغنية نفسها التي قرع محمد بها الحب على باب قلبي : أنا لحبيبي ... وحبيبي إلي ...

كان محمد واقف خلفي وكأنه كل الاكتاف التي تسندني في هذا العالم، كانت نظراته تفيض بالفخر والمحبة لي وأنا أوقع سلافة محمد، ومع آخر نسخة وصلت حتى أوقعها أختلف كل شيء سكنت الموسيقى، سكت الحاضرين أمسك محمد بيدي محاولا مساعدتي بالوقوف وقف بجانبني باعتدال وأخرج من جيبه خاتم ووضع في يدي اليمنى وكان الجميع مدعوين إلى حفلة توقيع الرواية وخطوبتنا معا دون أن أعلم، في تلك اللحظة كانت يدي بل وكل جسدي يرتعش رعشة اللمسة الأولى كان يمسك يدي ويمسك قلبي، ويلمس روحي ويحملني إلى فضاء آخر معه كل هذا فقط بلمسة منه !

كل أيامي مع محمد كانت مختلفة، كل يوم يحبني بطريقة مختلفة يشعرني بالأنوثة التي ضاعت في أعماقي حتى اليوم الأخير .

كنت دائما مؤمنة بأن الجبار أرسله جبرا لروحي وأنه سيكون دائما هكذا ولم أكن وحتى بالخيال أفكر أنه سيذهب عني ولكنه فعل، ذهب ولم يعد كما كان عاد محمولا على الاكتاف جثة هامة أكلها الموت وليس عريسا، وتيتم قلبي للمرة الثانية وتيتمت روايتي وكل أوراقى دونه، سرق الموت محمد ، وروحي، ضحكاتي، ورجلي الاول، ورجل ذكرياتي، حادث لعين .. ثواني فقط ... وانتهت قصتنا التي امتلأت صفحات قلبي وروحي بها .

أذكر مرة في أطراف إحدى الأحاديث التي كانت تطول بيننا سألته : إذا ذهبت للساعات دون أن أسمع صوتك وهو يغني لي أشعر بأن روحي متشنتة وضائعة دوما أريد أن تغني لي حتى احفظ صوتك في سجلات عمري .

الآن من سيغني لي ؟ مع من سأكبر ؟ من سيحبني مثلك، من سيحرك مني الآن ؟ من سيزيل الوهن الذي أحمله على ظهري، في قلبي وزوايا روحي
!؟

ذهب محمد وتركني هنا، تركني غارقة في بحر حبه، ضائعة في كوكب كبير، كوكب كان هو يشاركني به واختفى فجأة كأحد الشهب الذي يضيء سماء القلوب لثواني ليحقق الامنيات ثم يختفي للأبد، واختفى ... واختفت اجزائي معه وانتهيت !

سلملي عليه !

لم تكن كل الخسائر إلا بقلبي ! لم أخسر خسائر كهذه طوال كل عمري
اللعين، لم أخسر شيء نفيس كما خسرت، ولن أحصل على مثله حتى لو
كل حظوظ هذه الدنيا العظيمة وضعت في مبنى حظوظي وأحلامي فلقد
فقدت أكبر وأهم الحظوظ فقدت حياة ... والحياة !

لم تكن بدايتنا كأبي بداية، لم نكن محظوظين بها ولم نستطع أن نصنع بداية
أفضل، بداية أسطورية تنحفر بجزء ذاكرتنا الأفضل لا بالمنتصف، ولم
نصنع حتى نهاية بأقل الخسائر يا حياة .

قد تكوني انتهيت مني ولكن أنا ليس بعد ما زلت تحتليني ، ومازالت قصتنا
تعاد داخلي كأحد أشرطة الأفلام، وها أنا أكتب الجزء الأول من فيلمنا يا
حياة .

كانت حياة، فتاتي ذو العشرين خريفا حين وقعت عيني عليها أول مرة، فتاة
لم تكسب من الاسم أي شيء غير حروفه، لم يكن لها نصيب من اسمها لم

يقول لها يوماً أسم على مسمى، رغم ذلك كانت عينيها التي صب بهما لون السماء تجعلني أعيش بين الغيوم ارفف عالياً وكأنني لا أعرف أرضاً أو حدود أبدأ، كانت ناعمة تضحك بخجل، تتلفظ كلماتها بخجل وكأنها غصن ياسمين إذا هب الهواء بسرعة نال منها !

كانت ذاهبة بذلك اليوم لتطمأن على نمو شيء غريب تحمله بين أحشائها غزا جسمها كجراد يغزو أرض !

خرجت حياة وأمها وبدأت بالسير في تلك الإحياء التي نال الحرب منها فتلك الرأ التي توسطت حب ما أتت إلا لتخلف ورائها لاجئ شهيد، أسير ويتيم، ولم يقف الأمر على ذلك فقط بل فقر، جوع وجفاف .

وصلت حياة وأمها إلى العيادة وكانت تلك الزيارة الخامسة لها في العيادة التي أعمل بها، وصلت بعد تلك الأيمان التي استحلفت بها هي وأمها لتلك الحواجز المتناثرة على الطرقات لإعاقة حركتهم التي وضعت بسبب الاحتلال الذي بدء بانتداب جاء ليساعدنا وتحولت هذه المساعدة إلى نهب وسلب .

كانت العيادة غير سليمة من الحرب أيضاً الذي نال من بعضها ودمرها، كانت حياة جالية هناك تنتظر على أمل لقاء الطبيب قبل أن يبدأ حظر التجوال اليومي، فالعيادات أصبحت أكثر الأماكن اكتظاظاً بالمراجعين فشطايا الحرب لم تقتصر على الجسد بل وتسالت إلى القلوب .

- حياة محمد دورك الآن .

دخلت حياة وأمها كانت ابتسامة حياة طاغية على الإرهاق التي تشعر به، لكنني كنت واقعا في مازق الحب الذي لم يرن شيء إلا جمال أول زيارة تلك التي خلقت بي حبها، حفرت اسمها في، في أصغر عروقي التي ما زالت تسكنها حتى الآن .

قلت وأنا أحضر نفسي لفحصها : كيف تشعرين اليوم ؟

فحصتها وندمت أنني كنت الطبيب هناك ليتني لم أصل في ذلك اليوم، ليتني كنت مشغول حتى تدخل إلى الطبيب الآخر، كان الورم قد ازداد كثيرا لدرجة يصعب على العلاج الكيماوي أن يفعل شيء، شعرت بنفي وأنا أهتز، سمعت صوت قلبي عندما كسر حير رأيت الورم قد ازداد .

وقع سؤال أمها علي وكأنه حبل النجاة من كل ما أفكر قالت : كيف حالة حياة ؟

كانت حالتي لا تفسر، انتشر في ملامحي يأس جديد العهد فقد كانت حياة السبب الوحيد الذي يدعوني إلى البقاء في العيادة التي لم تسلم من الحرب، فشعور الحب هو الشيء الوحيد الذي يدعوني إلى الصبر على الوضع وعدم الهجرة، كنت في تلك اللحظة خائف من أن أتفوه بحقيقة حالتها كي لا تغيب ابتسامتها التي تزييني بمكاني كل ما اراها ولا أريد أن تنطفئ تلك النجمة التي تلمع في سماء عينيها .

قلت وأنا ما زلت أرجف : للأسف حياة ليست بحالة جيدة، أنت تعلمين أن مرضها لا يصاب به الكثير من الناس فذلك الورم حجمه في ازدياد وكما تعلمين أن مكان نموه غير طبيعي وسرطان القلب في هذه المرحلة لا يمكن علاجه بالمواد الكيماوية .

لا زلت حتى الآن أذكر ردة فعل أمها ... أذكر ردة فعل حياة التي جعلتني
ازداد تعلقا، كنت مسحورا بها، مبهور بكل ما تفعل وكل ما أراه منها !
خرجت حياة من العيادة وهي تحمل ثقل في قلبها وخرج جزء من روحي،
وكانت هي الزيارة الأخيرة لها هنا ولم أعود لرؤيتها حتى بذلت في ذلك
ثمن عظيم!

كانت حياة تعيش على الضفة الأخرى من هذه القصة التي أعيشها أنا، ولا
تشبه أبدا ما أشعر به في تلك الفترة .

في طريق العودة تناثرت أحاديث المارة والبائعين في الشوارع عن قذيفة
هدمت بيت آخر، اليوم بيت جديد هدم على أهله، على أحلامهم، على
فرحهم وحنينهم على كل شيء، غارة جديدة وضحايا جديدة وآمال جديدة قد
هدمت .

عادة تأثير القذيفة لا يطول إلا أصحاب البيت وبعض الجيران والأقارب،
فالأمم أصبح طبيعي لدى الآخرين، فصوت القذائف يخالط ضحكات
الأطفال، يخالط صوت فيروز صباحا وهي تتغنى بالشيء المفقود بالسلام،
يخالط صوت أم كلثوم بالمساء، يخالط صوت قارئ القرآن بعد العشاء،
يخالط ترانيم الكنائس يوم الصلاة، يخالط تكبيرات المساجد في الأعياد،
أصبح الصوت الأكثر سماعا، وأصبح اليوم الذي لا يسمع به صوت قذيفة
يوم غير محسوب من أيام السنة .

وصلت حياة وأمها إلى حي منزلهم الذي بان على سكانه الحزن والأسى وما لبثت حياة وأمها أن يضعن العديد من الخطوات حتى سمعت صوت المؤذن يقول : انتقل إلى رحمة الله تعالى الأستاذ محمد بعد سقوط قذيفة على منزله، إنا لله وإنا إليه راجعون .

لم يكن الأسن بالبداية مفهوم حتى جاءت جارة أم حياة من بعيد لتواسيهم وعندها تأكدت حياة أن العارة اليوم كانت من نصيب والدها وإخوتها الصغار، أذكر عندما قالت لي : " حينها بكيت أبي، أخوتي، بكيت على أمي على نفسي، صرخت حتى شعرت أن الأرض قد امتلأت بصوتي، امتلأت بجروحي " .

أما عن أم حياة فالموضوع حتى بعد ساعات لم يكن مألوفاً لها، وكيف تصدق أن بيتها انهال على زوجها وفلذة كبدها؟! كيف تصدق أن من كانوا بجوارها قبل سويقات قليلة الآن تعجز لم شمل أشلائهم؟! كيف تصدق كل شيء لا يشبه ما تركته عليه من قبل ؟

كنت منشد إلى اليوم ذاك وكانت حياة تشعر بالراحة وهي تشرح لي وتخبرني عنه سألتها حينها عن المشهد الأخير الذي يدور بعقلها فقالت كان ضحكات متناثرة من شفها إخوتها وهم يلعبون، وقلق عليها من والدها الذي كان مرضها يملمه أكثر منها، لكن جاءت تلك الغارة وانتهت كل شيء !

بيت جديد ذهب وقصة جديدة دمرتها مخالب العدو، ذكريات، ألوم صور زفاف والد حياة ووالدتها، أولى خطوات حياة، ألعاب إخوتها وتفاصيل كثيرة .

في تلك الفترة ... الفترة نفسها التي كانت أم حياة امتلأت بالثكل وحياة
امتلأت باليتم و الفقد كانت ما تزال تزداد في بطريقة غريبة حتى فاض
حبها من القطعة المتصلبة وانتشرت خلايا حبها إلى جميع أنحاء جسدي
وبعد تفكير عميق وخوف من العواقب قررت أن أعترف لحياة بحبي لكن
أكثر ما يشغل بالي عندما أراها ماذا سوف أتحدث ماذا سأقول وكيف أبدأ
الحديث ؟

حينها لقد حاولت أن أحصل على عنوانها من العيادة لكن كان ملفها في ذلك
الجزء الذي دمره الحرب وكانت رحلة البحث عن مكانها أو أي شيء
يخصها تجعلني احبها أكثر وأتعلق بها أكثر وأكثر كنت أبحث عنها كأني
أبحث عن شيء غال نادر جميل لا يوجد منه إلا هي .

وبعد أربعة أشهر من البحث عنها وحبها أكثر أخيرا حصلت على عنوانها
عن طريق الصدفة والآن قد وصلت إلى حياتي الأولى كنت اشعر حينها
بشيء عظيم أشعر بفرحة لا تفي جميع الحروف بوصفها كانت كسلام بعد
أعوام من الاحتلال كانت كأول قطرة مطر بعد سنوات من جفاف كانت
كضحكات بعد أحزان وحياة لحياتي !

وصلت إلى الحي باليوم نفسه التي عرفت العنوان، كنت أشعر أنني أضعت
وقت كثير ولا مجال بأن أضيع أكثر كنت أتجول بالحي حتى أصل البيت
الذي لا أعرف مكانه بتحديد كنت أتجول فيخفق قلبي أكثر فأنا الآن أمشي
وأنظر إلى الأشياء التي اعتادت عليها حياة !

- عذرا لحظة .

تفضل .

- أريد أن أعرف أين يقع بيت الأستاذ محمد .

الرجل : للأسف البيت انهدم بفعل قذيفة سقطت عليه وكان موجود به
الأستاذ محمد وأبنائه .

- ماذا ... حقا ومن من أبنائه كان بالمنزل معه ؟

الرجل : أحمد ويوسف .

- فقط ؟ وحياة وأمها أين ؟

الرجل : كانزا خارج البيت ولا نعرف الآن أين مكانهم .

حينها شعرت أن توازني ينسل من شرايني وشعرت أن الدم يتدفق بقوة
جديدة، كنت أنتفض حبا شوقا وحزن كنت أشعر بنفسي أقف على حافة
الهاوية، وأشعر أن الأوكسجين الذي كان محملا بالحب قد امتلأ بخيبة
جديدة لتو !

عدت إلى المنزل الذي كانت الوحدة تشاركني به، أنظر إلى الزوايا التي
امتلات بالفقد والصمت، إلى الصور التي تعترض الكثير من جدران،
استمع إلى ذكرياتي أشاهدها والغريب إنك كنت تتوسطينها وكأن مر دهر
علينا معا !

بقيت في هذه الوحدة كثيرا، بعد محاولات بحثا كثيرة عن حياة، ولكن فقدت
الأمل واعتزلت الناس لمدة طويلة، تركت العمل في العيادة، شعرت حينها
أن حياة كانت فعلا تمدني بالسبب الأكبر للاستمرار والحياة ولكنها ذهبت .

كانت تلك الفترة من أصعب ما عشت كنت ناقص، ضائع، كنت أشعر
بالعتمة ممتلئة داخلي وفاقد الشغف بالاستمرار، وفاقد الأمل بعودة اللقاء
ثانية، كنت قد اعتدت على حياة على الأقل مرة في الشهر لكنها كانت
تكفيني والآن لا شيء سوى الغياب !

أذكر المرة الأولى التي وصلت بها دمشق "الشام"، أذكر الدهشة الفرحة ولذة الوصول التي أصابتنى حينها، أذكر كيف كنت متفائلا بها، أرى بها كل أحلامي، كانت تضج بالأصالة والطرب، كنت اشتتم مع الهواء العراقة والتاريخ، كانت أصغر التفاصيل تملك رائحة وكيان، ولم أشعر بالغرابة حينها فهي الشامة وسط الصحراء، كانت تشبه أحد مدن الجنة قبل أن تحل بها جهنم الحرب.

أذكر الصباح الأول لي بها، أذكر صوت فيروز الذي كان ممزوجا بالجمال فحتى صوت فيروز أمتلك شيئا جديدا لا يشبه صوت فيروز في أي مكان آخر، كانت الأغنية حينها " سلملي عليه " أذكر كم كنت أحبها ولكن عندما سمعتها هناك كانت أجمل، وأصبحت أحبها أكثر وكأني أسمعها للمرة الأولى، كنت مندهش بها أقف وكأني على أوسع أبواب الجنة، كانت كوكب بأكمله قبل الخراب الذي أصابها وأصاب حياة وقلبي أيضا !

بعد مرور ثمانية أسابيع على آخر مرة قرع بها باب المنزل عاد وقرع اليوم كان الطبيب الذي كان نعمل معا في العيادة وأخبرني إنه تم قبولنا للعمل بالمشفى الذي كنا قد تقدمنا للعمل به منذ فترة وأخبرني إننا سنبدأ يوم الاثنين بالعمل ثم ذهب .

جاء يوم الاثنين بسرعة فائقة وكأنه كان بالغد ليس بعد أسبوع لم أكن أريد أن أذهب لكن لا أدري ما أسيقظ بي حينها، شعرت بشيء كان يدفعني أن أذهب، خرجت من البيت بعد كل تلك الفترة شعرت إنني غريبا عن المنطقة، عن الناس، عن المدينة، شعرت بالشمس تدخل بأرجائي شعرت بشيء يشبه بطريقة ما الحياة !

وصلت إلى مدخل المشفى وقلبي كاد أن يتوقف، لم أكن أريد أن أدخل ولكن لا بد لي من الدخول، دخلت وكان هناك جولة للأطباء الجدد لتعرف على

جميع الأقسام ثم يرحل كل منا إلى قسمه، وصلنا إلى القسم الثاني قسم الأورام " القسم الذي سأعمل به " دخلنا إلى غرفة الأطباء، إلى غرف المرضى حتى وصلنا إلى الغرفة الأخيرة وكان قدري العظيم ينتظرنى هناك كانت حياة شعرت بها قبل أن أراها حتى نفس الرائحة نفس الصوت، شعرت بأن صواتا سحبنى من الحافة التي كدت أن أسقط منها، فتحت الستائر كانت حياة فعلا شعرت بروحي تتراقص داخلي، شعرت بأنني لاجئ و عدت إلى وطني لتو شعرت بفرح عظيم حينها، شرح لنا الطبيب عن حالة حياة لم أكن أهتم حينها كنت أنظر إليها، أتمعن تغيرات ملامحها، عدد الشعيرات التي ما زالت تتمسك في رأسها رغم ذلك كانت جميلة كنت أراها أكثر جمالا حتى إنني عدت وفتنت بها من جديد ! خرجنا من الغرفة حاولت طوال ساعات الدوام أن أدخل ولكن الوقت لم يسمح .

وصلت إلى البيت وأنا أفكر فقط أي قدر عظيم حملني إليها، أي قدر عظيم شعر بحاجتي إليها وأوصلني، كم كنت أشعر بأنني محظوظ حينها وأنني أملك كل ما سعيت لأجله وحلمت به، شعرت بلذة الوصول التي لطالما سمعت بها، عشتها وكأني في أحد الأحلام لكن سؤال واحد يدور في عقلي ماذا الآن ؟ سؤال من فرط تعقيده والضياع الذي كان يزرعه داخلي كان يجعلني أحن واشتاق أكثر .

أذكر إنني لم أنم طوال تلك الليلة، أفكر بها، بي وكيف سأعترف لها بكل ما أشعر، مضت تلك الليلة بسرعة وكان القمر سرق بلحظات واحتلت الشمس المكان، خرجت من البيت حاتم جديد لا يسبه حاتم الذي خرج بالأمس، لم أعتقد أن الحب يجمال الأشياء تملك ألوان، ويجعلها خفيفة كروحي، ويجعلني أحب نفسي لأنني أحب.

وصلت إلى المشفى وتحديدًا إلى غرفة حياة، كنت أرجم، أتعرق وسط
البرد والشتاء وكأنني جمرا مشتعلا بالحب، عادت ذكريات حياة وانتفضت
داخلي، مرت كل اللحظات كشريط، كنت خائف، للمرة الأولى أشعر
بخوف هكذا ولكنني دخلت :

قلت : صباح الخير .

- أهلا .

سألتها : هل تذكريني؟

- بتأكيد أنت الطبيب حاتم .

شعرت حينها بفرح وكأنها أفسحت لي المجال بالحديث .

قلت : الحقيقة أنا بحثت عنك كثيرا وعرفت ما حصل، لا أعلم إذا كان
المكان أو الزمان مناسب لكنني أحبك !

أذكر المفجأة والغموض الذي أصاب ملامحها التي أحب، وأذكر الآن أنني
رأيت لمعة بدأت تنتشر في عينيها شعرت بها، فالأسطورة تقول أن الحبيب
يشعر بمحبوبته وأنا كنت غارق، متيم، ومسحور وليس حبيب فقط .

صمتت هي دون أي حرف ووقفت أنظر إليها وأنتظر الأجابة وكأنني زرعا
وكل المطر في أجابتها، انتظرت مدة ليس بقصيرة ولكنني خرجت من
الغرفة واستمر صمتها، كنت خائف من ردها أو أن تقابل اعترافي بجفاء أو
رفض ولكنها صمتت وهذا لم يكن سيء بنظري حينها .

عدت إلى غرفتها بنهاية الدوام وكانت أمها قد ذهبت لتو ووقفت امامها
وكانني انتظر جوابها، كنت أنظر لها وهي تنظر إلي أيضا بعد مرور
دقيقتين دون أن تنطق حرفا، أدرت ظهري ماشيا وعندما وصلت إلى الباب

قالت : لحظة، وقعت الكلمة علي وخوف وفرح عظيم معها وتراشقت الأفكار داخلي كدماء ضحية .

أدرت ظهري واتجهت نحوها ووقفت ووقفت من يستمع : حقيقة لا أعرف ماذا أجيب كانت الكلمة صاعقة تشعلني بعد أن انطفأت أنت من داخلي بعد كل هذا الغياب ...

أجبتها : ماذا ؟

قالت : صراحة كنت معجبة بك في الفترة التي كنا نقصد بها العيادة ولكن الآن لم أعد أعرف مشاعري بعد كل هذا الوقت و بعد كل ما مررت به و ...

قاطعتها وقلت : فرصة واحدة لنتأكد من ذلك الإعجاب لنتعرف إلى بعض أكثر، أرجوك لا تعلمين كم تعبت من أجل أن اعثر عليك .

لم تجب هي قلت : ماذا ؟

هزت رأسها موافقة مع ابتسامة بخيلة .

خرجت من الغرفة وأنا حاتم آخر، حاتم جديد لا أشبه الأمس أو الصباح حتى، كنت لا أصدق ما حصل وصلت إلى المغسلة أنظر إلى المرأة كنت أجمل وكان الحب رسمني من جديد، أضاء كل زوايا روحي، وأيقظ لربيع الذي نام منذ الغياب وقررت حينها أن أبدأ بصنع قصتنا أن نصنع ذكريات لنا وأن أجعلها تقع في شباك الحب .

قضينا الكثير من الوقت معا وكنت أحب أن أكون مناوب بالمساء حتى نملأ هدوء الليل بقصصنا، أصبحت تعلم كل شيء عني، وأعلم عنها كثيرا علمت حبها للياسمين، لفيروز بتحديد أغنية " سلملي عليه " اذكر كيف

تفاجأت حينها إننا نحب الأغنية نفسها، فرحت كثيرا فلقد أصبح لنا أغنية مميزة نتشارك بحبها، أخبرتني عن اليتيم أذكر كيف عدت ورأيت مشهد الكفن ذاك وكأنني عشته مرة ثانية أعتصر قلبي وكأنها أمسكت به في أناملها الناعمة والرقيقة وضغطت عليه حتى انهال بالدموع والدماء عندما قالت : كان اليتيم وحشا أسود يكبر ويزداد كل يوم حتى يكاد يأكلني ويغمرني بشوق، أه من اليتيم .

أصبحنا أصدقاء كثيرا وكنت مغرما بها أكثر وأكثر، لكن أكثر ما كان يزعجني تلك الليالي التي كانت تعتصر بها من الألم، كنت أشعر أن روحي تختنق مع كل أه تخرج منها .

في إحدى الأيام مررت إلى غرفة حياة كانت تجلس لوحدها وطلبت مني أن أقرب منها أمسكت بيدي ووضعت ورقة وأغلقت يدي وطلبت مني أن أفتحها بالمنزل حاولت أن أعرف ماذا كان كتبت بالورقة ولكنها رفضت أن تقول لي شيء، وصلت إلى الورقة كان مكتوب بها كلمة واحدة بالخط العريض: أحبك وبها بعض الياسمين الصغير، كنت مذعور متفاجئ أمسكت الورقة ضممتها إلى صدري قبلتها وقرأتها أكثر من عشرين مرة كنت أشعر بخفة أشعر بأني أملك إحدى الرسائل الملائكية الذي لم ينال أحدا مثلها !

خرجت إلى المشفى وطلبت من أحد الأطباء أن نتبادل التناوب وقبل على مضض ذهبت إلى حياة وصلت إلى باب الغرفة، شعرت بأني انتفس لأول مرة، كان قلبي يدق بشكل سريع وصلت السرير كانت على وشك أن تنام كنت أنظر إليها وكأنني أنظر لها للمرة الأولى أنظر وكأنها كنز ثمين كان مفتاحه تلك الكلمة التي كتبتها لي على الورقة التي ما زلت أيش برائحتها

حتى الآن، لم أقل شيء كنت أقف أمامها دون أي حركة، ضحكت هي ثم قالت : أحبك .

كانت أحلى ما سمعت وتحسست طوال حياتي شعرت بلذة الحب، العشق تميم، خلقتني من جديد بكلمتها صنعت لي كوكب آخر، نجوم جديدة و حياة ثانية إلى الأبد .

كانت المرة الأولى لك والأخيرة أيضا، خلقت لي كل هذه الكواكب وتركتني أصارع العيش بها وحيدا دونها، كانت لعنة الحب والحرب والمرض ثلاثة رؤوس لمثلث يقيدني الآن ولا يخرجني ولا يخرج مني حتى .

كنت مغلوب بك يا حياة، غلبني الحب ونال مني، كانت سخرية القدر مني، تعاسة حظي وقلة حيلتي كل هذا كان كفيل بأن يأخذني منك أو يأخذك مني.

خرجت من البيت في ذلك اليوم كانت الغيوم كثيفة كما أحب أنا، كان الشتاء يلف المكان، صوت فيروز، ورائحة الموت تلفني أنا لم تكن بشعة لا أعتقد أنها الكلمة المناسبة لها كانت عادية يمكن أن تقاوم وتغلب أيضا ولكنها غلبتني، مشيت في الحي وكانت الاشاعات كالعادة تختال في المكان كانت عن قذيفة اصابة أحد المشافي في دمشق مدينة الحياة، وكالعادة لم أبالي لأن الاشاعات أصبحت كالرصاص هنا تزداد كل يوم كالأموات والبيوت المدمرة التي خلفتها الراء اللعينة، الراء التي احتلت الحب وحولته إلى حرب وحولت كل شيء إلى خراب أيضا .

ركبت في سيارة الأجرة وكانوا في الأخبار أيضا يتحدثون عن ذلك الأمر وهنا تحولت إلى شيه حقيقة، ولا أعلم لما خطرت حياة قلبي، كنت مستبعد ذلك الأمر لأننا في منطقة تعد أمانة ولكنني نسيت أننا في حرب وكل شيء في الحب والحرب مباح حتى القلوب أيضا .

كنت على وشك أن أنزل من السيارة حتى أعلنوا عن أسم المشفى تلك
وكانت الصاعقة إنها المشفى نفسها لم أصدق أو لم أكن أريد أن أصدق
نولت وما زلت في الصاعقة أنظر إلى السماء وأدو للجبار أن لا يكسرنى
بها، ووددت أن أكون في دوامة أحلام ولم أستيقظ بعد، كنت على بعد
مسافة قصيرة عن المشفى حتى رأيت الناس والشرطة، صوت صراخ وهنا
تأكدت أن الأرض غضبت علينا وضافت بنا حتى لم تجمعنا معا لنجتمع
بالمكان الأوسع في السماء .

أكملت الطريق، ووصلت إلى الدمار وعلمت أنه لم ينجو أحد وتأكدت من
عدم نجاتي أيضا، كنت أحتاج إلى نجاتك أو النجاة مني أو من الحرب، من
هذا الدمار واللعنة!

مر الكثير من الوقت علينا يا حياة !

لم تنتهي الحرب ولا قصتنا أتخيلنا الآن معا نسكن البيت نفسه ونملك طفلين
كما كنت تحلمين، طفلة تشبهك أنت وطفلا شقي لا يشبهنا بطباعه شقي
شقاوة الحبق الذي عشته معك، أتخيلنا يا حياة معا ولكنني وحيد جدا، وأسقط
من الهاوية نفسها كل يوم ولم أمت حتى الآن، أتخيل أن رائحة الموت
ستعود مرة ثانية لتخطفني ولكنني أنسى أنني لم أكن مميزا كحياة التي
خلقت للحب صوت وللموت رائحة .

كانت الحادثة تلك منذ ثمان سنوات، الحادثة التي خسرت الحياة وخسررتني
أيضا، مت أنا وعاشت حياة بداخلي، في أغنية فيروز " سلملي عليه " وفي
الرسالة التحمل تلك الكلمة !

تمت بحمد الله .

أذكر المرة الأولى التي وصلت بها إلى
دمشق " الشام " أذكر الدهشة، الفرحة
ولذة الوصلة التي أصابتني حينها، أذكر
كيف كنت متفائلاً بها، أرى بها كل أحلامي
كانت تضج بالأصالة والطرب، كنت أشتتم
مع الهواء العراقية والأصالة والتاريخ كانت
أصغر التفاصيل تملك رائحة وكيان، لم
أشعر بالغرابة فهي الشامة وسط الصحراء،
كانت تشبه أحد مدن الجنة قبل أن تحل
بها جهنم الحرب هذه!

"سلملي عليه"

عبد الرحمن محمد عبد الجواد

Instagram : abd_mohammad_

زعلي
طول
أنا وياك

